السنة الخامسة (رمضان سنة ١٣٥٧ هـ — أكتوبر سنة ١٩٣٨ م) العدد الثاني



تصدرها «جماعة دار العلوم»
كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير	المدير
محمد علي مصطفى	محمد نجيب حتاتة

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادي دار العلوم **٧٧** شارع الملكة نازلي

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعي بيومي

المدرس بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوي

في القطر المصري	٢٠ قرشا
خارج القطر	٦ شلنات انجليزية
ثمن العدد	٥ قروش

المطبعة الرحمانية بمصر
إدارة سعيد سلطان محمد بالخرنفش رقم ٢٠ تليفون ٥١٥٢٢

"إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا لوجدها تموت في كل مكان وتحيا في دار العلوم"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

مقدمة

نقدم هذا العدد لقرائه والبلاد تتهيأ لاستقبال البشرى السعيدة ؛ ففى كل دار فرح ومسرة ، وفى كل حى زينة ، وفى كل مدينة مهرجان ؛ و إن فيما يبدو على وجه كل مصرى من أمارات التفاؤل والاستبشار بهذا المولود الملكى السعيد ؛ لدليلا على ما يكن هذا الشعب لمليكه من آيات الولاء والمحبة ، وما يضمر فى قلبه من شعائر الإخلاص والود ، و إنه لمن دلائل توفيق الله وتأييده أن يكون عهد صاحب الجلالة فاروق الأول ، موصول البشائر بالنصر ، متجدد الأفراح والتهانى ؛ وأن تكون أيامه منذ تولى عرش مصر ، أعيادا متعاقبة ، وأفراحا موصولة الأسباب .

ولقد شهدنا فى استعداد الطوائف والجماعات للمشاركة فى أفراح المليك لهذه المناسبة ، روحاً جديداً ، ومظهراً جديرا بالتنويه والإشادة ؛ ذلك هو اتجاه الجماعات والطوائف فى إعلان سرورها إلى وسيلة عملية مجدية ، تحقق الغاية ، وتخلد الذكر ، وتعمم السرور بهذه البشرى السعيدة ؛ وكانت هذه الوسيلة هى أن يجعلوا يوم هذه البشرى عيدا من أعياد الطفولة ، وموسما من مواسم الإحسان والبر ؛ بتوزيع الصدقات ، و إطعام الفقراء ، وكسوة الأطفال البائسين ، ومساعدة العمال المتعطلين ؛ وإنها لروح جديدة فى مواسمنا واعيادنا ، ونمط جديد فى إعلان الفرح والمسرة ؛ وإنها لنفحة من روح الملك الصالح فاروق الأول ، وفيض من إحسانه وفضله ؛ سيذكره به التاريخ !

و إنا لنسأل الله أن يتم على المليك نعمته بالمولود الذى يقر عينه ، وأن يسبغ الصحة والعافية على جلالة الملكة ، وأن يتم على الشعب أفراحه بالمولود السعيد ، ويجعله طالع يمن وسعادة ، لهذا الشعب الذى يخلص له الحب والولاء !

***

و بعد فهذا عدد اللغة العربية ؛ ولقد كان للغة العربية وشئونها فى ذلك الصيف المنصرم شأن أى شأن ، بدت مظاهره فى تلك اللجنة التى تألفت فى وزارة المعارف للنظر فى وسائل النهوض باللغة العربية ، وتيسير وسائلها على الطلاب والمتعلمين ، وقد وضعت اللجنة قرارها فى ذلك ، وانتهت فيه إلى رأى ، وكان رأيها فى ذلك معرضاً لمساجلات علمية حول اللغة العربية ، وأسباب قوتها أو ضعفها ، ووسائل تيسيرها على الطلاب ـ اشتركت فيه أكثر الطوائف العلمية فى مصر ، وطائفة غير قليلة من المشتغلين بالأدب وشئون اللغة العربية فى سائر الأقطار العربية ؛ فكان لتلك اللجنة الرسمية رأيها ، وكان إلى جانبه آراء : فرأى لهيئة التدريس فى دار العلوم ، ورأى لحضرة صاحب العزة المفتش الأول للغة العربية فى وزارة المعارف ، ورأى لجماعة دار العلوم ، إلى آراء أخرى ليس منها إلا ما هو حقيق بالنظر والدرس ، و إذ كانت هذه الآراء جميعاً مما يهم أساتذة اللغة العربية فى المدارس ، كما يهم جميع المشتغلين بشئون اللغة العربية ، أن يعرفوه و يتدارسوه ، و يكون لهم إلى جانبه رأى ، فقد رأينا أن نقدم هذه الآراء جميعاً إلى قراء الصحيفة فى هذا العدد ، لعلهم يجدون فيه ما يعز عليهم طلبه فى شتى الصحف والمجلات ؛ لكى تكون وسائل البحث ميسرة لهم قريبة المنال .

***

ولقد وضعت اللجنة التى كانت مكلفة أن تنظر فى وسائل إصلاح دار العلوم فى هذا

الصيف ، قرارها الذى قررته ، وانتهت إلى قواعد حددتها للنهوض بهذا المعهد الذى أنشىء لخدمة اللغه العربيه ، وما زال يقوم على خدمتها منذ نيف وستين سنة ؛ فأحسن القوامة ، وأدى الأمانة ، وردّ إلى العربية مجدها الغابر ، وجدّد شبابها الداثر .

وإننا لنرحب بكل فكرة ترمى إلى المحافظة على هـذا المعهد الجليل ،وتقصد إلى النهوض به ؛ ليساير روح العصر ويماشيه خطوة إلى خطوة فى مدارج الارتقاء وليس يعنينا هنا أن نتحدث عن تفاصيل هذا الاصلاح ، مادام القصد منه المحافظة على هذا المعهد الذى يقوم منذ عشرات السنين بواجبه فى الحفاظ على لغة القرآن .

* * *

وإنه ليحزننا ألا ينتهى هذا الحديث إلى قرائنا إلا بالتفجع والحسرة على فقيد كريم من أبناء دار العلوم ، هو المرحوم المبرور أحمد عبده خير الدين بك وكيل دار العلوم وأستاذ أساتيذها .

وافاه القدر المحتوم ونحن أشد ما نكون احتياجا إليه فى هذه الفترة من تاريخ دار العلوم ، ليشرف على تنفيذ وسائل الإصلاح فى المعهد الذى تخرج فيه ، وأخلص له المحبة ووقف على ترقيته الجهد كله .

تخرج المرحوم أحمد عبده خير الدين بك فى سنة ١٩٠٧ ، فاشتغل بالتعليم سنة فى المدارس المصرية ، ثم سافر مبعوثا إلى انجلترا ، فأتم دروسه فى جامعة كمبردج ، ثم اختير مساعداً لأستاذ اللغة العربية بالجامعة نفسها ، فظل فى هذه الوظيفة بضع سنين ، كان فيها دائباً على التحصيل والتزود من العلم ، وحصل فيها على طائفة من أرقى الدرجات العلمية ؛ ، ثم آب إلى بلاده لينفعها بما حصل من علم ، وما أفاد من معرفة ؛ فاشتغل مفتشا ، ومدرسا فى دار العلوم ، والمعلمين العليا ، ومدرسة الحقوق ؛ وكليات الأزهر ، وطُلب يوماً ما لإلقاء محاضرات فى الفلسفة فى الجامعة المصرية ، ولكن ظروفا

ما قد حالت بينه وبين ذلك؛ وكان آخر ما تولاه من شئون التعليم أنه كان وكيلا لدار العلوم وللفقيد مؤلفات كثير فى التربية، وعلم النفس، والفلسفة، والأخلاق، وتدبير الصحة يدرس أكثرها فى المدارس، وهى عمدة كثير من المعلمين والمتعلمين.

وكان - رحمه الله - إلى ذلك دمث الأخلاق، رقيق القلب، دقيق الإحساس، محببا إلى كل من يعرفه، وكان أعطف أبناء دار العلوم على إخوانه، وأشدهم إخلاصا لمعهده، فليس كثيراً أن نعد فقده رزءاً أحسن الجميع وقعه فى أنفسهم ووجدوا أثره فى قلوبهم.

رحمه الله رحمة واسعة، وألهمنا الصبر عليه، ووهب لنا العوض منه؛ ورحم الله معه إخوانا سبقونا إلى الله يسعى نورهم بين أيديهم، ويضىء لهم الطريق ما قدموا من عمل صالح!



تقــرير

لجنة النظر فى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة

أصدر حضرة صاحب المعالى بهى الدين بركات باشا حين كان وزيراً للمعارف القرار الآتى:

بما أن الوزارة سبق لها أن عملت على تبسيط قواعد النحو والصرف والبلاغة فيما أخرجت من الكتب وكان لهذا العمل نتيجة مرضية .

وبما أن هذه الخطوة التى خطتها الوزارة فى الماضى لم تكن كافية ، إذ أنه لوحظ أن صعوبة قواعد النحو والصرف والبلاغة لا تزال قائمة ، وأن المعلمين والمتعلمين يبذلون جهداً كبيراً ووقتاً طويلا فى تعليمها وتعلمها ولا يصلون بعد هذا كله إلى نتائج تتفق مع ما يصرف من زمن وجهد .

وبما أننا نرى تشكيل لجنة مهمتها البحث فى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة وتتقدم باقتراحاتها فى هذا الشأن مبينة مشروع التبسيط الجديد والأسس التى تشير بوضع قواعد النحو والصرف عليها ، على ألا يمس ذلك أصلا من أصول اللغة العربية ، ولا شكلا من أشكال الإعراب والتصريف — وكذلك تبين اللجنة ما تراه من التغيير فى طرق تدريس علوم البلاغة وتبويبها :

لذلك قرر

المادة الأولى — تؤلف لجنة على الوجه الآتى :

الدكتور طه حسين بك	عميد كلية الآداب
الأستاذ أحمد أمين	الأستاذ بكلية الآداب
« على الجارم بك	مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف
« محمد أبو بكر إبراهيم بك	المفتش بالوزارة
« إبراهيم مصطفى	الأستاذ المساعد بكلية الآداب
« عبد المجيد الشافعى	الأستاذ بدار العلوم

للقيام بالمهمة المبينة فى ديباجة هذا القرار .

المادة الثانية — تعرض اللجنة عملها فى مدة لا تتجاوز الشهرين ، ويمنح أعضاؤها مكافأة عن هذا العمل .

المادة الثالثة — تنشر نتيجة أعمال اللجنة على الجمهور لتتبين الوزارة الآراء التى يبديها المثقفون فى مصر وغيرها من البلاد العربية

المادة الرابعة — علي وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار . انتهى

وقد اتصلت اجتماعات اللجنة للنهوض بهذه المهمة التى وكلت إليها حتى انتهت لى طائفة من الاقتراحات ترفعها الآن إلى الوزارة لا على أنها المثل الأعلى لما ينبغى الوصول إليه من تيسير النحو والبلاغة ، بل على أنها خطوة معتدلة موفقة فى سبيل هذا التيسير قد تتاح بعدها خطوات أدنى إلى التوفيق وأقرب إلى الكمال :

واللجنة سعيدة بأن تسجل فى أول هذا التقرير ثناءها على حضرة صاحب المعالى الأستاذ بهى الدين بركات باشا وشكرها له تفكيره فى تيسير علوم اللغة العربية وتقريبها إلى عقول المتعلمين ، فذلك هو السبيل المعقولة إلى إحياء اللغة الفصحى وجعلها لغة

الأجيال الحديثة حقا ، ولن تكون اللغة العربية الفصحى لغة خصبة حقاً إلا إذا شاعت بين الناس على اختلاف طبقاتهم وأصبحت أداة يصطنعونها لتأدية أغراضهم المختلفة فى يسر و إسماح وفي غير مشقة وجهد ، وهذا كله رهين بتيسير علومها وتمكين الناس أن يأخذوها أخذاً رفيقاً لا يجدون فيه عنفاً ولا إرهاقاً

واللجنة مع ذلك حريصة على أن تثبت فى هذا التقرير أن تيسير علوم اللغة العربية على جلال خطره واتساع شأنه و بعد أثره فى إحياء اللغة ، ليس كل شىء ؛ بل هناك أشياء لعلها ألا تكون أقل منه خطراً ولا أدنى شأناً ، ومن الحق علينا أن نفكر فيها ونجدّ فى تحقيقها حتى نبلغ من إحياء اللغة ما نريد

— ١ —

من المفيد أن يتعلم الشباب النحو والبلاغة ، ذلك يثقف عقولهم و يقوّم ألسنتهم ويرقى أذواقهم ويصفى طباعهم ، ولكن أهم من ذلك وأجدى أن يتعلم الشباب اللغة نفسها .

واللغة لا تتعلم بدرس النحو أو درس البلاغة وإنما تتعلم بالمران وكثرة الاستماع لها والتحدث بها واتخاذها أداة للفهم والافهام والفراغ لهذا كله وقتاً ما ، وقد نُيسر النحو حتى نجعله من أيسر الأشياء وأهونها ، وقد نصلح علوم البلاغة حتى نجعلها من أشد الأشياء ملاءمة لحاجة الذوق الحديث ، ثم لا يبلغ بنا ذلك ما نريد من تعويد الشباب أن يتخذوا اللغة العربية الصحيحة وسيلة عملية يؤدون بها ما يؤدى من الأغراض فى غيرها من اللغات الحية ، لأن الشباب لا يتعلمون هذه اللغة كما يتعلم الشباب فى الأمم الأخرى لغتهم : هم لا يسمعونها فى البيت ، وهم لا يسمعونها فى البيئة التى تحيط بهم ، ثم هم لا يسمعونها فى المدرسة إلا أثناء دروس اللغة العربية ، ولعلهم أثناء هذه الدروس لا يسمعونها خالصة من كل شائبة ، مبرأة من كل عيب ، منزهة عن هذا الفساد الذى يصيبها من إهمال المعلمين و إيثارهم للراحة وتيسيرهم على أنفسهم

وعلى تلاميذهم باستعمال اللغة العامية أحياناً . فأما أثناء دروس العلوم الأخرى التى يتلقونها فى المدارس فهم إنما يسمعون اللغة العامية مشوبة بين حين وحين بشىء من محاولة الاعراب والافصاح . وما دامت اللغة العامية هى لغة التخاطب فى البيت وخارج البيت ، وهى لغة التعليم فى أكثر مايلقى فى المدرسة من الدروس، فستظل هذه اللغة العامية هى اللغة الحية الأساسية ، وستظل اللغة العربية الصحيحة لونا من ألوان الترف لا يأخذ الشاب به نفسه إلا حين يضطر إلى ذلك اضطراراً ، وليس يعنيه أن يوفق إلى إجادته أو لا يوفق .

ونحن نعلم أن لاسبيل الآن إلى جعل اللغة العربية الصحيحة لغة البيت أو لغة البيئة المصرية بوجه عام ؛ ولكننا نعلم أن من الممكن بل من الواجب أن نجعل اللغة العربية الصحيحة لغة التعليم فى المدارس ، وسبيل ذلك أن نفرض هذه اللغة على المعلمين فيما يلقون على التلاميذ من دروس وفيما يسوقون إليهم من حديث ، وأن يكون ذلك موضوعاً للتفتيش والمحاسبة فلا يخلى بين المعلم وبين هذه اللغة العامية يصطنعها مع التلميذ منذ يلقاه إلى أن يفارقه.

ذلك أحرى أن ينفع المعلم نفسه فيصحح تفكيره ويربى ذوقه ويقوّم لسانه ، وهو من غير شك خليق أن ينشىء التلميذ على معرفة اللغة وإتقانها والقدرة على التصرف فيها ، وما نشك فى أن أمام الوزارة فى هذا السبيل أشياء تستطيع أن تحققها ، فهى تستطيع ألا تأذن بتوزيع الكتب الدراسية على الطلاب إلا إذا استيقنت أنها بريئة من الفساد اللغوى ، وهى تستطيع أن تفرض التدقيق فى التفتيش بحيث لايصبح مقصوراً على معلمى اللغة العربيه بل يتناول المعلمين جميعاً ما داموا يعلمون بهذه اللغة ونحن نعلم أن هذا قد يبدو غريباً ، ولكن لابد مما ليس منه بد ، وما دام المحقق أن المعلمين يهملون اللغة العربية فى دروسهم وحديثهم إلى التلاميذ طوعا أو كرهاً ، فلا بد من صرفهم عن هذا الاهمال ومن تنبيههم إليه ولومهم عليه إذا وقعوا فيه ؛ ويجب أن

نلاحظ أن الشاب الانجليزى أو الفرنسى إنما يحسن لغته و يتقن النطق بها والتصرف فيها لأنه يسمعها صحيحة فى البيت وخارج البيت ، و يسمعها صحيحة فى المدرسة بنوع خاص ، فقد تتأثر لغة البيت ولغة الشارع ببعض اللهجات العامية ، وقد يكون لهذا تأثير فى لغة التلميذ ، ولكن المحقق أن اللغة الصحيحة وحدها هى المسيطرة على التعليم الحديث داخل المدرسة . والشاب الفرنسى أو الانجليزى لا يسمع اللغة الصحيحة فى درس اللغة الانجليزية أو الفرنسية وآدابها فحسب ، ولكنه يسمعها فى درس التاريخ والجغرافيا وفى درس الطبيعة والكيمياء وفى درس الرياضة أيضاً . ونحن نعلم أن الوزارة ستجد فى هذا مشقة إن حاولته ، وأن المعلمين سيضيقون به وسيجدون فيه جهداً وحرجا ، ولكن من أراد الغاية سلك إليها سبلها وابتغى إليها وسائلها ، ومن المحقق أن الوزارة إذا آمنت بهذه الفكرة فلن يعجزها الوصول إلى تحقيقها شيئاً فشيئاً . وهى منتهية من غير شك إلى تكوين المعلمين الذين يحسنون الأداء باللغة العربية الصحيحة . ولا سيما إذا فرضت إتقان اللغة العربية على كل من يتهيأ للتعليم وجعلت هذا الإتقان شرطاً أساسياً لإسناد منصب المعلم إلى أى شاب مهما تكن المادة التى يتخصص فيها ويتهيأ لتعليمها .

— ٢ —

وهناك أمر آخر لاترى اللجنة بدا من الوقوف عنده والالحاح فيه ، وقد دعا إليه غير واحد من المصلحين والمفكرين فى شؤون التعليم ، وهو أن يمكّن الصبية وقتا ما من الفرغ للغتهم والانقطاع لها بحيث لاتزاحمها على عقولهم وأذواقهم وذاكرتهم لغة أجنبية ، ومعنى ذلك أن التعليم الابتدائى يجب أن يخلص للغة الوطنية فلا يسمع الصبى في المدرسة الابتدائية غيرها ولايقرأ غيرها ولايتعلم ولايتكلم إلا بها ، وحسبه أن يبدأ تعلم اللغة الأجنبية حين يبدأ التعليم الثانوى ، ذلك أحرى أن يبسط سلطان اللغة الوطنية على نفسه وأن يخلص لها قلبه وأن يمكنه من أن يتقنها إلى حد ما دون أن يضيع مقداراً عظيما من الجهد فى تعلم لغة أجنبية .

ومهما تكن الحاجة شديدة فى مصر إلى معرفة اللغات الأجنبية ، فان الحاجة إلى معرفة اللغة الوطنية أشد وأقوى ، ونحن واثقون بأن من الأسباب القوية لضعف المصريين فى اللغات الاجنبية نفسها أنهم لايحسنون لغتهم الوطنية ، وما من شك فى أن إحسان لغة أجنبية يتأثر أشد التأثر بإحسان اللغة الوطنية وتنظيم تفكير الشاب بها واستعماله لها .

ومهما تكن الحاجة إلى هذه اللغات الأجنبية شديدة فان درسها فى المدارس الثانوية وفى كليات الجامعة وفى المدارس الفنية الخاصة يجب أن يكفى ، ويجب أن ترد أعوام التعليم الابتدائى إلى اللغة العربية نفسها .

— ٣ —

والقراءة الكثيرة المتنوعة من أشد المؤثرات فى إتقان اللغة و إحسان العلم بها والتصرف فيها بشرط ألا يكره الصبى عليها إكراها ولا يؤخذ بها أخذاً ، وإنما يقبل عليها إقبالا مصدره الرغبة والشوق إلى مايقدم اليه الكتاب من لذة وإمتاع .

والتلاميذ والطلاب عندنا لايقرءون إلا ماتفرضه عليهم المدرسة فرضا ، وتحتمه البرامج والمناهج حتما ، فهم ينظرون إلى القراءة على أنها واجب يؤدى حين لايكون من أدائه بد ، ويهمل حين تتاح الفرصة لاهماله ، لا على أنها لذة تبتغى ومتعة يكون الشوق إليها والجد فى تحصيلها . ومصدر هذا أن أدبنا الحديث فقير أشد الفقر إلى هذه الكتب التى تلائم طور الصبى وطور الشباب ، وترضى حاجة الصبية والشباب إلى مايمتع الخيال القوى والمزاج الحاد ، ويرضى العقل الناشىء ، فاذا ألفت لهم الكتب فانما تؤلف لهم كتب مدرسية أو كالمدرسية يظهر فيها القصد إلى التعليم أو يظهر فيها أخذهم بالواجب على حين يجب أن يختلس حبهم للقراءة اختلاسا ، وألا يحملوا عليها حملا ، وما لنا لانسجل الحق وإن كان مؤلما فنقول إن كتابنا وأدباءنا المحدثين لم يحفلوا إلى الآن بانشاء الكتب الممتعة اليسيرة التى تلائم هذين الطورين من أطوار الحياة

أوهم لم يبلغوا بعد من البراعة الأدبية حظا يمكنهم من إنشاء هذه الكتب التى هى كثيرة متنوعة عظيمة الانتشار فى البلاد الأخرى ، وَالتى تفيد الصبية والشبان فائدة مضاعفة ، فهى تثقفهم فى كثير من فروع العلم والفن وألوان الحياة اليومية ، وهى تعلمهم اللغة وترقى ذوقهم وتهيئهم تهيئة حسنة لفقه الآثار الأدبية والفنية . وقديكون من الخير أن تعمل الوزارة على اختيار طائفة من هذه الكتب التى تؤلف للصبية والشبان الناشئين ، وتكلف من يترجمونها إلى لغة عربية صحيحة سهلة ، ذلك أحرى أن ينفع التلاميذ من جهة ، وأن يثير فى نفوس الكتاب والادباء الرغبة فى إنشاء مثلها ، ولعل هذا أن ينتهى إلى إحداث هذا الفن الجديد من فنون الأدب فى لغتنا العربية .

— ٤ —

وقد أطلنا فى هذه الأشياء مع أنها ليست من جوهر المهمة التى كلفنا النهوض بها لنشير بما نرى أنه الخير من جهة ، ولنسجل أننا على إكبارنا لخطر تيسير النحو والبلاغة لانغتر بأثر هذا التيسير ، ولانراه السبيل الوحيد إلى إحياء اللغة و إشاعتها وتمكين التلاميذ من أن يمنحوها ماينبغى أن تمنح اللغة الوطنية من الحب لها والاقبال عليها ، و إنما هو سبيل من هذه السبل يجب أن نأخذ بأسبابه ، ولكن يجب ألا نكتفى به ولانقصر جهدنا عليه .

وقد شرط علينا فى القرار الوزارى وشرطنا نحن على أنفسنا ألا ينتهى بنا حب التيسير إلى أن نمس من قريب أو بعيد أصلا من أصول اللغة أو شكلا من أشكالها وإنما أخذنا أنفسنا بتيسير القواعد والأصول بحيث نقربها من العقل الحديث ، ونلائم بين علوم اللغة العربية و بين ما بلغته العلوم الأخرى من التطور والرقى ؛ فلن يكون من نتائج هذا التيسير أن يتغير وضع من أوضاع اللغة ، أو يلغى أسلوب من أساليبها أو يهمل استعمال من استعمالاتها ؛ و إنما النتيجة التى طلبناها ونظن أننا وفقنا إليها شيئا وهى أن يكون النحو اليسير أقدر على تمكين التلميذ من فهم أوضاع اللغة وأساليبها

واستعمالاتها ، ومن التصرف فيها عن بصيرة وذوق لا عن تقليد ونبوّ فى الطبع .
بل نحن قد حرصنا على أكثر من هذا فأخذنا أنفسنا بألا نعدل عن القديم لأنه قديم ، وبألا نغير فيما اتفق عليه النحاة من القواعد والأصول إلا بمقدار ، حين لا يكون من التغيير بد ، وقد اجتهدنا فى أن نتلمس من مذاهب النحاة القدماء ماعسى أن يكون أقرب إلى العقل الحديث وأيسر على الناشئين فنأخذ به ونضعه مكان المذهب المشهور الذى قد يجد المعلمون والمتعلمون فيه من الجهد والمشقة ما يمكن أن التخفف منه دون أن ينشأ عن ذلك شر قليل أو كثير .

وقد لاحظنا أن أهم ما يعسر النحو عل المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء:

الاول — فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا ويسرفوا فى الافتراض والتعليل .

والثانى — إسراف فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات .

والثالث — إمعان فى التعمق العلمى باعد بين النحو وبين الأدب .

وقد حاولنا أن نخلص النحو من هذه العيوب الثلاثة فبرأناه من الفلسفة ماوسعنا ذلك ، ومحونا منه الافتراض والتعليل اللذين لاحاجة إليهما ، وقاربنا بين أصوله وقواعده ، فضممنا بعضها إلى بعض كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، واكتفينا بالأمثلة فى كثير من الأحيان وأعرضنا عن تفسير العلل والإمعان فى التأويل ، وهذا كله حملنا على أن نعدل عن تعليم الصرف من حيث هو علم ، فقد رأينا أنه بفقه اللغة أشبه ، وأن دراسته المستقصاة أحرى بالذين يفرغون لتعمق اللغة العربية وعلومها ، فأخذنا من أحكامه مالم نجد منه بدا ويسرناه تيسيراً ، وأشعناه فيما يلائمه من أبواب النحو .

— ٥ —

وأما البلاغة فأمرها أيسر من ذلك ، فقد استطاع العرب أن يستغنوا عنها

ويعيشوا بدونها عصراً طويلا هو من أزهى عصور الحياة الأدبية وأروعها ، وقد عدلت عنها الأمم الحديثة فى تعليم لغاتها وآدابها عدولا تاماً فلم يصبها من ذلك شر ما . ومع ذلك لم نعدل عنها ولم نطالب إلغائها ، وإنما رددناها إلى أصلها وجعلناها فصلا من فصول الأدب ووسيلة من وسائله ، وألغينا منها مالا صلة بينه وبين الحياة الأدبية ، وأضفنا إليها أبواباً بحث عنها القدماء من النقاد فى إجمال ويبحث عنها المحدثون فى كثير من التفصيل ، وقد أهملت فى البلاغة الرسمية العربية إهمالا تاماً .

ونحن نرى أن درس هذه الفصول الأدبية التى نسميها البلاغة سيعين الطلاب على أن يذوقوا الأدب ويفهموه على وجهه ويصلوا بين ما يقرءون وما يجدون.

— ٦ —

وبعد فان اللجنة ترى أن الأناة أوجب شىء فى كل ما يتصل بشؤون التعليم ولا سيما فيما يتصل بالمناهج والبرامج والمواد التى تعلم للشبان ، فيحسن بل يجب ألا ينالها التغيير إلا بعد البحث والاستقصاء والتثبت والاستعداد للمستقبل . ومهما يكن ظننا حسناً بهذا الاصلاح الذى نقترحه فانا نريد أن تتأنى الوزارة فى الأخذ به وأن تهيىء لذلك أسبابه ، وأيسر هذه الأسباب أن يتعوده المعلمون وألا يقبلوا على تعليمه للطلاب إلا بعد أن يثقفوه ويسيغوه ويتمثلوه ، والسبيل إلى ذلك فيما نعتقد أن يؤلف كتاب لهم فى هذا النحو الميسر وكتاب فى هذه البلاغة الجديدة على أن يكون كل من هذين الكتابين مفصلا لا يحجم عن المناقشة والاستدلال فيما ذهب إليه من التيسير ، فاذا أذيع هذان الكتابان فى المعلمين وغيرهم من المثقفين وأثيرت حولهما المناقشات وثبتا لها وانتصرا عليها أمكن أن تقبل الوزارة على تعليم النحو والبلاغة على هذا النظام الجديد ، وأن تغير المناهج والبرامج وأن توضع الكتب المدرسية طبقا له .

اقتراحات اللجنة فى النحو والصرف

باب الاعراب

ترى اللجنة وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديرى والإعراب المحلى ، فإن مثل (الفتى) يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر ، ومثل (القاضى) تقدر فيه حركتا الرفع والجر ويقال منع من ظهورها الثقل ومثل (غلامى) تقدر فيه الحركات الثلاث ويقال منع من ظهورها حركة المناسبة . وفى تقدير الحركات وفى الإشارة إلى سبب التقدير مشقة يكلفها التلميذ من غير فائدة يجنيها فى ضبط كلمة أو تصحيح إعراب . كذلك الإعراب المحلى فمثل (هذا هدى) — هذا — مبنى على السكون فى محل رفع ، ومثل (ياهذا) – هذا – مبنى على ضم مقدر منع منه سكون البناء الأصلى فى محل نصب ، وكذلك (ياسيبويه) مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلى فى محل نصب ؛ وهذا عناء مضاعف وجهد يبذل لغير شيء . واللجنة ترى أن يستغنى عن الإعراب التقديرى وعن الإعراب المحلى فى المفردات وفي الجمل ، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم هذا العناء .

العلامات الأصلية للاعراب والعلامات الفرعية

جعلت بعض علامات الاعراب أصلية و بعضها فرعية فتنوب الحروف عن الحركات وتنوب الحركة عن الحركة فى أبواب معدودة معروفة ، ويعرب (الزيدان) مرفوعاً بالألف نيابة عن الضمة و (مسلمات) منصوباً بالكسرة نيابة عن الفتحة .

ولا ترى اللجنة هذا التميز ولا تلك النيابه ؛ بل تجعل كلا فى موضعه أصلا وتقسم الاسم المعرب إلى الأقسام الآتية :

(١) اسم تظهر فيه الحركات الثلاث وهو أكثر الأسماء

(٢) « « « « « مع مدها وهو الأسماء الخمسة .

(٣) « « « « حركتان : ضم وفتح وهو الممنوع من التنوين

(٤) « « « « ضم وكسر وهو الجمع بألف وتاء

(٥) « « « « حركة واحدة هى الفتح-وهو ما آخره ياء لينة (المنقوص)

(٦) « « « « ألف ونون أو ياء ونون — وهو المثنى .

(٧) « « « « واو ونون أو ياء ونون - وهو المجموع بهما

ويستغنى بهذا عن الاعراب التقديرى وعن القول بنيابة علامة عن أخرى

القاب الاعراب والبناء

جعل النحاة لحركات الاعراب ألقاباً ولحركات البناء ألقاباً

فحركات الاعراب - الرفع - والنصب - والجر - والجزم

وحركات البناء - الضم - والفتح - والكسر - والسكون

وعلى هذا (فمحمد) مرفوع و (قبل) مضموم و (محمداً) منصوب و (الآن) مفتوح .

وهذه التفرقة دعتهم إليها الدقة ، بل الافراط فى الدقة والسخاء فى الاصطلاحات ، ومن النحويين من لم يلتزم هذه التفرقة واستعمل ألقاب نوع فى غيره .

وترى اللجنة أن يكون لكل حركة لقب واحد فى الاعراب وفى البناء وأن يكتفى بألقاب البناء .

الجملة

تتألف الجملة من جزأين أساسيين ومن تكملة تذكر حين يحتاج إليها ، وقد

يستغنى عنها تبعاً لغرض المتكلم ولما يريد أن يعرب عنه . وعلى هذا التقسيم رتبت اللجنة أبواب النحو .

تسمية الجزاين الأساسيين

كان أمام اللجنة أن تسميها بالأسماء الآتية :

أولا — مسند إليه ومسند . كما اصطلح علماء البلاغة وكما عبر بعض علماء النحو قديماً منذ سيبويه .

ثانياً — الموضوع والمحمول . كما اصطلح علماء المنطق .

ثالثاً — الأساس والبناء .

رابعاً — المحدث عنه والحديث

والأخيران اصطلاح جديد قد يكون أوضح فى معناه .

وقد عرضت اللجنة هذه الأسماء ثم فضلت اصطلاح المناطقة وهو : الموضوع والمحمول لأنه أوجز ولأنه لا يكلفنا اصطلاحاً جديداً .

أحكام إعرابهما

الموضوع هو المحدث عنه فى الجملة وهو مضموم دائماً إلا أن يقع بعد إن أو إحدى أخواتها ، والمحمول هو الحديث وهو الركن الثانى من ركنى الجملة .

ا — ويكون اسما فيضم إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها فيفتح .

ب — ويكون ظرفاً فيفتح

حـ — ويكون فعلا أو مع حرف من حروف الاضافة أوجملة ويكتفى فى إعرابه ببيان أنه محمول

الترتيب بين الموضوع والمحمول

الجملة العربية مرنة فى الترتيب طيعة فلا تلزم أحد الركنين موضعاً واحدا ، وقد ساعدتها تلك المرونة على أداء معان خاصة دقيقة ؛ و إنما يغلب أن يتأخر الموضوع فيما يأتى :

ا — إذا كان المحمول فعلا .

ب — إذا كان الموضوع نكرة .

المطابقة بين الموضوع والمحمول

أولا فى النوع — إذا كان الموضوع مؤنثاً كان فى المحمول علامة التأنيث

ثانيا فى العدد — إذا كان المحمول متأخرا لحقته علامة العدد التى توافق الموضوع وإذا كان متقدما لم تلحقه فيقال : الرجال قاموا وقام الرجال .

وعلامة العدد التى تلحق الفعل هى فى الجمع الواو للذكور والنون للإناث . وفى المثنى الألف لهما ، وفى المفرد التاء للواحدة ، وتأخذ اللجنة فى ذلك برأى الإمام المازنى القائل إنها علامات لا ضمائر ! ! .

و بهذا النحو من تقسيم الجملة إلى موضوع ومحمول ، واعتبار إشارات العدد علامات لا ضمائر ، يسرت اللجنة الإعراب ونائب الفاعل وقللت الاصطلاحات وجمعت أبواب الفاعل والمبتدأ واسم كان واسم إن فى باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدإ وخبر كان وخبر إن فى باب واحد هو المحمول ، وخففت عن المعلمين والمتعلمين بردّ باب ظن إلى الفعل المتعدى .

متعلق الظرف وحروف الاضافة

يقسم النحاة هذا المتعلق إلى قسمين ـ الأول متعلق عام كمتعلق (زيد عندك

أو في الدار) ، ويقدرونه (كائن أو استقر) وهو عندهم واجب الحذف ، ويعربونه هنا خبراً .

الثانى متعلق خاص — ولا يفهم الكلام إذا حذف مثل (أنا واثق بك) ، والخبر هو المتعلق والظرف فضلة

وترى اللجنة أن المتعلق العام لا يقدر ، وأن المحمول فى مثل (زيد عندك أو فى الدار) هو الظرف، أما النوع الثانى فهو كما قرر النحاة : المتعلق هوالمحمول والظرف تكملة ، ويجىء إعرابها فيما بعد .

الضمير

من أصول اللجنة أن تلغى الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً : فمثل (زيد قام) الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه ، وليس بجملة كما يعده النحاة ، وهو كمثل (قام زيد) ، ومثل (الرجال قاموا) الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ، ولا يعتبر جملة .

ومثل (أقوم) و (نقوم) مما يقدر فيه الضمير مستتراً وجوبا : الفعل محمول والهمزة أو النون إشارة إلى الموضوع أغنت عنه وكفى ذلك فى إعرابه .

الضمير المتصل البارز — منه الدال على العدد ، وقد اعتبر إشارة لا ضميراً واتبع فيه مذهب المازنى . وغير الدال على العدد مثل (قمتُ) أو (قمتَ) (وقمتم) ، الضمير موضوع والفعل قبله محمول — وإذا ذكر مع المتصل ضمير منفصل فهو تقوية له مثل ، (قمت أنا) و (أنا قمت) .

التكملة

كل ما يذكر فى الجمله غير الموضوع والمحمول فهو تكملة ، وحكم التكملة أنها مفتوحة أبداً ؛ إلا إذا كانت مضافاً إليها أو مسبوقة بحرف إضافة .

أغراض التكملة

وتجىء التكملة لبيان الزمان أو المكان ، ولبيان العلة ولتأكيد الفعل أو بيان نوعه ، ولبيان المفعول أو لبيان الحالة أو النوع .

و بذلك جمعنا كثيرا من الأبواب كالمفاعيل والحال والتميز تحت اسم واحد هو التكملة دون أن نضيع غرضاً .

الأساليب

فى العربية أنواع من العبارات تعب النحاة كثيرا فى إعرابها وفى تخريجها على قواعدهم مثل التعجب فله صيغتان هما - (ما أجمل زيداً) (وأجمل بزيد) . ومعروف خلاف النحاة فى إعرابها وعناء المعلمين والمتعلمين فى شرحها وفهمها - وقد رأت اللجنة أن تدرس هذه على أنها أساليب يبين معناها واستعمالها و يقاس عليها . أما إعرابها فسهل (ما أحسن) صيغة تعجب والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح و (أحسن) صيغة تعجب أيضاً والاسم بعدها مكسور مع حرف الإضافة .

ومثل هذا ، التحذير والإغراء كما فى (النار) أو (إياك النار) أو (النار النار) هو أسلوب ، والاسم فيه مفتوح ، والاسمان مفتوحان أيضاً ، وإنما توجه العناية فى درس هذه الأساليب إلى طرق الاستعمال لا بتحليل الصيغ وفلسفة تخريجها ، وقد جمعت أمثال تلك العبارات لتدرس على هذا الوجه .

فى الصرف

أشارت اللجنة من قبل إلى ماترى فى علم الصرف ، وأن أكثر مسائله من بحوث فقه اللغة التى لا يحتاجها البادئ . بل لايصل إليها فهمه كالإعلال والابدال

والقلب وتنتقل الكلمة فى موازين مختلفة حتى تصل إلى هيئتها فى النطق .

فرأوا فى مثل (قال) أنه محول من (قول) و (وخاف) من (خوف) و (يقول) من (يقْوُل) (و يبيع) من (يبيع) ونحو (مرمىّ) من (مرمَوِى) .

وأمثلة هذا كثيرة غالبة على علم الصرف وليس للبادىء بها حاجة وإنما يحتاجها من يروم التفقه فى تصريف اللغة وتكوينها ، وقد رأت اللجنة أن تخفف عن التلميذ عناء هذا كله ويؤخر درسه إلى محله فى معاهده المتخصصة للغة وفقهها وتاريخها ، واقتصرت على الأبواب العربية من تصريف الفعل وصوغ مشتقاته وتثنية الاسم وجمعه على أن يعلم التلميذ الصيغ المختارة بالأمثلة الكثيرة وألا يكلف معرفة شىء مما يراه الصرفيون فى أصول الكلمات وتقلبها فى الهيئات المختلفة .

ونسرد فيما بعد أبواب النحو والصرف مجملة كما رأت اللجنة درسها تحقيقاً لما أريد من التيسير .

أبواب النحو والصرف

أحكام الكلمة

تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف :

الاسم

تقسيمه إلى مذكر ومؤنث وعلامات التأنيث .

تقسيمه إلى ما آخره حرف صحيح وما آخره حرف لين - ألف أو ياء -

تقسيمه إلى مفرد ومثنى وجمع - طريق التثنية : ما آخره ألف تقلب ياء دائماً

إلا فى كلمات لا تتجاوز العشرين ، المشهور منها ـ الجدا ـ الحجا ـ الحفا ـ الخنا ـ الرضا ـ العصا ـ الصبا ـ الفرا ـ القفا .

وما آخره همزة قبلها ألف كبناء تبقى همزته إلا إذا كانت للتأنيث فتقلب واواً.

طريقة جمع الاسم بالألف والتاء وبالواو والنون أو الياء والنون ـ أمثلة من جمع التكسير .

تقسيم الاسم إلى منكر ومعرّف ـ أنواع المعارف

الاسم المصغر (الثلاثى والرباعى فقط) .

المنسوب إليه (أكثر أحكام النسب دوراناً فى الكلام) .

المعرب والمبنى ـ أنواع الإعراب (كما تقدم بيانها) .

المبنيات ـ أسماء الإشارة والموصول والاستفهام والشرط .

الفعل

تقسيمه إلى ماض ومضارع وأمر ـ تمرين فى تصريف الأفعال ـ إشارة إلى الأفعال القليلة التى لا تصرف ـ المجرد والمزيد (الحرف المزيد والحرف الأصلى) .

تقسيم الأفعال إلى صحيح ومعتل (تذكر أمثلة تبين أنواع المعتل ولا تذكر الأسماء الاصطلاحية لكل نوع) ـ تمرين فى اتصال الفعل على اختلاف أنواعه بالضمير .

المبنى للمجهول ومعناه وطريق صوغه .

الناقص والتام واللازم والمتعدى .

المبنى والمعرب ـ إعراب المضارع .

المشتقات

اسم الفاعل صوغه واستعماله (قد يجيء على غير الأمثلة القياسية ليدل على المبالغة أو الصفة الثابتة) وبهذا تدمج الصفة المشبهة وصيغة المبالغة فى باب اسم الفاعل .

اسم المفعول — أمثلته وطرق استعماله — اسم الزمان والمكان والآلة .

المصدر

أمثلة من مصدر الثلاثى — أمثلة المصادر لغير الثلاثى — طرق استعمال المصدر .

أحكام الجملة

المحمول والموضوع — إعرابهما — الترتيب بينهما — المطابقه بينهما .

الموضوع ظاهراً وضميراً بارزاً .

المحمول اسم وفعل وظرف وجملة .

تكملة الجملة — إعرابها — أغراضها .

تكملة المفرد — التوابع .

أحكام العدد .

الأساليب

الاستفهام بالنفى — التوكيد — القسم — التعجب — التفضيل — نعم وبئس — النداء — الاستثناء — التخصيص — التحذير والإغراء .

الجملتان

الشرط وجوابه — أدوات الشرط ومعانيها واستعمالها مع السكون وبدونه .

القسم وجوابه — تأكيد الفعل بالنون .

الجملة الفرعية

قد تكون محمولا — تكملة — نعتا — صلة (يجب أن يفرق هنا بين الجملة والفعل وحده لأنه قد عد من المفرد).

أبواب البلاغة

ا — معنى البلاغة — الغرض منها

ب — الأسلوب — معناه — اختلاف الأساليب باختلاف الكتاب والشعراء — نماذج من أساليب مختلفة كابن المقفع والجاحظ و بديع الزمان وابن خلدون و بعض المحدثين من الكتاب ، كبشار وأبى تمام وابن الرومي والبها زهير و بعض المحدثين من الشعراء.

الايجاز والإطناب والمساواة.

الفرق بين الأسلوب الأدبى والأسلوب العلمى.

ج — أهم الموضوعات الأدبية.

١ — الوصف — شروط جودته — استعراض لوصف جيد ووصف غير جيد وبيان أسباب ذلك.

٢ — المقالة — معناها — شروط جودتها — نماذج منها.

٣ — القصص — معناه أنواعه — شروط جودته — نماذج منه.

٤ — الخطابة — معناها — شروط جودتها — نماذج منها.

٥ — تراجم الأشخاص — شروط جودتها — نماذج منها.

د — الشعر والنثر والفرق بينهما.

الشعر — شرح لمعنى البيت والقصيدة والقافية — إلمامه بمعنى الوزن فى الشعر - لغة الشعر - خياله - موضوعاته - أوصاف الشعر الجيد .

النثر - لغته - موضوعاته - أوصاف النثر الجيد .

هـ — الكلمة : بم تفضل كلمة كلمة فى الموضوع الواحد — دقة استعمال الكلمة — جمالها — ملاءمتها لموضوعها — دلالتها بالوضع و بالالتزام (يراد بالدلالة بالوضع معنى الـكلمة كما تدل عليه المعاجم ، وبالالتزام تأثر الكلمة بما حولها من معان وجو ونحو ذلك)

الجملة - تقسيمها إلى خبر و إنشاء وأغراضهما البلاغية — التقديم والتأخير .

الفصول — (الفقر) — معناها — علاقة الفقرة بالموضوع — علاقة الفقر بعضها ببعض .

وحدة الموضوع — فى الشعر — فى المقالة — فى الرواية .

التشبيه والاستعارة — معناهما — الفرق بينهما — متى يحسنان .

الـكناية — معناها — متى تحسن .

نماذج كثيرة من التشبيه والاستعارة والـكناية ونقدها .

المحسنات البديعية — نماذج منها — متى تحسن ومتى لاتحسن من ناحية الكم ومن ناحية الكيف .

طه حسين أحمد أمين على الجارم محمد أبو بكر ابراهيم

ابراهيم مصطفى عبد المجيد الشافعى

تقـــرير

مدرسة دار العلوم

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

نقدم لمعاليكم وافر احترامنا وإجلالنا ، ونتشرف بعرض ما يأتى :

كلفتنا دار العلوم العليا أن نطلع على تقرير اللجنة التى كلفت النظر فى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ؛ لأبداء الرأى فيه

وقد اطلعنا على التقرير المشار إليه ، ورأينا مايأتى :

صدرت اللجنة تقريرها بمقدمة مطولة بينت فيها حاجة النشء إلى مايقوم ألسنتهم ، ويحبب إليهم لغتهم ، ويجعلها وسيلة صالحة لتأدية الأغراض العلمية التى تؤدى بغيرها من اللغات الحية فى المدارس والبيئات المثقفة .

ونحن نوافق على ما اقترحته اللجنة فى مقدمتها من إلزام المعلمين النطق بها فى كل مايعلم بالعربية ، ومن تأجيل تعلم غيرها من اللغات الأجنبية وقتا يتفرغ فيه الناشىء لدراسة لغته ، ومن وجوب تزويد التلاميذ بالكتب الصالحة المشوقة للقراءة ، والمحببة فى الاطلاع والتوسع ، ونرى أن هذه المطالب جديرة بعناية القائمين بأمر التعليم جميعا ، وحق مقدس من حقوق لغتهم عليهم ؛ حفظا لقوميتنا ، ودعما لنهضتنا ، وإحياء لمجدنا ، وصونا لكرامتنا :

كل ذلك مما كنا ندعوا إليه ، ونلح فى رعايته منذ أمد قديم ، ولكنه لا يتصل من قريب أو بعيد بما وكل إليها من أمر التيسير ، فلندعه الآن ، ولنتطرق هوادة ورفق فيما قدمته أمام الغرض الذى كونت من أجله لنناقشه .

ذكرت اللجنة : « إن أهم مايعسر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء :

الأول : فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا و يعللوا و يسرفوا فى الافتراض والتعليل .

الثانى : إسراف فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات .

الثالث : إمعان فى التعمق العلمى باعد بين النحو والأدب . »

ذلك ماقدمته اللجنة أمام مقترحاتها لتجعله سببا لضعف اللغة العربية . والمتعلمون لايجدون فيما بين أيديهم من الكتب الآن شيئا مما افترضته اللجنة ، فلا فلسفة القدماء ، ولا الأسراف فى القواعد والاصطلاحات ، ولا الإمعان فى التعمق العلمى . لاشىء من ذلك كله مما يكلفونه أو يدرس لهم . إن هى إلا قواعد موجزة تبذل الكتب ، ويبذل المعلمون جهدا في إحاطتها بوسائل التوضيح والتيسير ؛ لتكون عونا للتلميذ لاعلى صحة النطق فقط ، بل على تفهم المعنى ؛ ولو أنه حرم هذه البقية الباقية لفسد نطقه جملة ، وساء فهمه كثيرا أو قليلا .

تقول اللجنة فى صفحة ٦ « وقد حاولنا أن نخلص النحو من هذه العيوب الثلاثة : (١) فبرأناه من الفلسفة ماوسعنا ذلك (٢) ومحونا منه الافتراض والتعليل الذين لاحاجة إليهما (٣) وقاربنا بين أصوله وقواعده ، فضممنا بعضها إلى بعض كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا (٤) واكتفينا بالأمثلة فى كثير من الأحيان (٥) وأعرضنا عن تفسير العلل ، والأمعان فى التأويل (٦) وهذا كله حملنا على أن نعدل عن تعليم الصرف من حيث هو علم . . . فأخذنا من أحكامه ما لم نجد منه بدا ، وأشعناه فيما يلائمه من أبواب النحو . » اهـ

هـذه ستة أمور تقول اللجنة إنها حاولت تحقيقها فيما وضعته بعد ذلك من المقترحات ، ثم فيما دونته من أبواب النحو والصرف تبعا لهذه المقترحات ، وسنناقش هذه المقترحات :

المقترحات التى تراها اللجنة

أولا : - ترى اللجنـة وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والمحلى . وقد ضربت لذلك أمثلة من صور الاعراب ليست ممـا يكلفه التلاميذ ، فلا أحد يكلف التلميذ فى إعراب « ياهذا » أن يقول إنه مبنى على ضم مقدر على آخره منع منه سكون البنـاء الأصلى فى محل نصب ، ولا أحد يقول فى إعراب « ياسيبويه » إنـه مبنى كذلك على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلى ، منذ وضعت كتب القواعد للمدارس .

على أنا نقول : إنه لو صح هذا لـكان ماذكرته اللجنة تبسيطا فى صيغ الاعراب ، لا فى نفس القواعد ، ولا فى طريقة تعليمها ؛ فواجب أن يعرف التلميذ أن المنادى المفرد يكون مبنيا على ما يرفع به إذا كان معربا ، وعلى ما كان مبنيا عليه قبل النداء إذا كان مبنيا ، وأنه يكون فى محل نصب ليمكن معرفة أحكام توابعه والنطق بها صحيحة الاعراب ؛ ففى نحو : يازيد العالم ، يجوز رفع لفظ العالم تبعا للفظ ، ونصبه تبعاً للمحل . ونحو قوله تعالى « ياجبال أوبى معه والطير » يجوز رفع الطير ونصبه تبعا للفظ فى الأول وللمحل فى الثانى ؛ ولا نقول بعد ذلك إن هذا مما يعلم فى المدارس الابتدائية والثانوية ، ولـكنه مما يعلم فى المعاهد المختصة

وواجب أيضاً أن يعرف الأعراب التقديرى للاسم ؛ ليدرك أثر العوامل المختلفة فيه ، ولـكى يكون معرفة إعرابه وسيلة لمعرفة إعراب توابعه ؛ ولا مرية أن فطرة التلميذ تدفعه إلى السؤال عن ذلك إن لم يشرح له .

ثانيا : - ترى اللجنة ألا تجعل للأعراب علامات أصلية وأخرى فرعية ، وأن تجعل كلا فى موضعه أصلا ، وأن تقسم الاسم المعرب إلى سبعة أقسام ، وتستغنى بذلك عن الأعراب التقديرى ، وعن القول بنيابة علامة عن أخرى .

ونحن نرى أن ماذهبت إليه اللجنة من هذا أكثر صعوبة ، وأشد بعداً من عقل التلميذ الناشئ : فهو يتعلم أولا : أن أنواع إعراب الاسم ثلاثة : رفع ونصب وجر ، فيرفع بالضمة : نحو : جاء على ، وينصب بالفتحة : نحو : رأيت محمداً ، ويجر بالكسرة : نحو : نظرت فى الكتاب . ولا يُعَلَّم العلامات الفرعية إلا بعد أن يعرف المثنى والجمع ، فنذكر له أن الألف فى المثنى ، والواو فى الجمع بدل من الضمة في المفرد وأن الياء فيهما بدل من الفتحة والكسرة فيه ، ويلفت عند نطقه بأمثلة الأسماء الخمسة إلى أن الواو والألف والياء حلت محل حركات الأعراب الثلاث .

ولا شك أن تعليم كل من هذا فى حينه المناسب خير من أن تجعل هذه الأنواع السبعة كلها أصولا ، ونجمعها فى تقسيم واحد ، ونزج فيها بين المفرد والمثنى والجمع ، والمصروف والممنوع من الصرف ، فلا يهتدى سبيلا ، ولا يحسن فهماً ولا تعليقاً .

على أننا نلاحظ أن فيما ذهبت إليه اللجنة فى هذا الصدد ، وزعمته تيسيراً إنما هو تكلف وتعسير ، فالطالب إذا مشى على ماتقترحه اللجنة فى إعراب الأسماء الخمسة يقول في إعراب « أخوك » من « جاء أخوك » : موضوع مضموم بضمة (مدت) فتولدت عنها واو . وهكذا فى المنصوب والمجرور ؛ ولا مراء أن هذا الأعراب أصعب وأعسر من أن يقول أخو ، فاعل مرفوع بالواو . . .

وتقول اللجنه فى هذا الباب أيضاً فى التعريف بالنوع الثالث : « إنه اسم تظهر فيه حركتان ، ضم وفتح وهو الممنوع من التنوين . »

ونحن نقول : إن ذلك تعريف ناقص ، إذ لاغنى مطلقا عن التفرقة بين الفتح فى حال النصب ، وبينه فى حال الجر ، وفى ذلك عود إلى ماهو متبع الآن بعد عتساف الطريق . ومثل هذا النقد يسرى على الأقسام الرابع والسادس والسابع ، هذا إلى مافى تعبير اللجنة من قولها : اسم تظهر فيه ألف ونون ، أو ياء ونون . . .

فان ذلك يشعر الطالب بأن النون ظاهرة دائما ، وليس الأمر كذلك ، بل إن الواو قد تختفى أيضاً .

ثالثاً : — قالت اللجنة : « ان النحويين جعلوا لحركات الأعراب ألقاباً ، ولحركات البناء ألقاباً : فحركات الاعراب هى : الرفع والنصب والجر والجزم ، وحركات البناء هى : الضم والفتح والكسر والسكون . وترى اللجنة أن يكون لكل حركة لقب واحد فى الاعراب وفى البناء ، وأن يكتفى بألقاب البناء : » اه .

وهذا الرأى الذى ذهبت إليه اللجنة خطأ ؛ فاحش ، لا ندرى كيف وقعت فيه فليست حركات الاعراب هى الرفع والنصب والجر والجزم كما ذكرت اللجنة ، وإنما هى ألقاب للإعراب لا حركات . وليس من النحويين على الاطلاق من يقول : إن الرفع حركة والنصب حركة ، ولكنهم يقولون فى مثل : جاء محمد : إن محمدا مرفوع ، وعلامة رفعه الضمة وهكذا . وإذا صح أن يكون هذا خطأ من اللجنة فى التعبير ، فكيف يكون الجزم والسكون من الحركات ! ! .

رابعاً : — « وترى اللجنة أن الجملة تتألف من جزأين أساسيين وما بعدهما يسمى تكملة ، وقد اختارت تسميتهما بالموضوع والمحمول تبعا لاصطلاح المناطقة . »

ونرى أن التلاميذ الذين نعلمهم فى مدارسنا الابتدائية والثانوية هذا الموضوع والمحمول لم يخلقوا بعد ؟ أفيكون من الصعب أن نعلم التلميذ فى مثل أكل محمد ، أن أكل فعل ومحمد فاعل . وفى مثل : محمد مسافر ، أن محمدا مبتدأ ، ومسافر خبر عنه ، أيكون هذا صعباً عسيرا ، ولا يكون متعسرا أو متعذرا أن نكلفه أن يدرك بعقله أن أكل ومسافر محمول ، وأن محمدا موضوع . ومتى عز عليه فهمهما تعرض للخلط بينهما . إنه لايفهم معنى الحمل ولا معنى الوضع كما يفهم معنى أن أكل فعل ، وأن محمدا هو الذى فعله . وأن محمدا مبتدأ بذكره والسفر خبر عنه .

وكل ما بنى على اصطلاح اللجنة من أحكام المطابقة والترتيب والتعلق يأتى مع الاصطلاح السهل المتعارف بين المعلمين والمتعلمين ، فأنهم يعلمون فى يسر وسهولة أن المبتدأ والخبر تدخل عليهما إن وأخواتها ، وكان وأخواتها مع بقاء معنى الإسناد بين المبتدأ والخبر مقيداً بقيد مدلول عليه بتلك الحروف والأفعال .

خامسا : — تكلمت اللجنة عن الضمير وتقسيمه ، وجاءت بما يبعد عن عقول المتعلمين ، فلا معنى لأن نقول كما تقول اللجنة فى مثل : أقوم ، ونقوم . إن الهمزة والنون إشارة إلى الموضوع أغنت عنه والفعل محمول . إن هذا غاية مايصل إليه من يريد التعسير ، فضلا عن أنه مما يحتاج إلى شرح معانى أحرف المضارعة شرحا واسعا وأنه لا ينطبق على أمر الواحد المذكر فى نحو « قم » فليس فيه إشارة إلى الموضوع مطلقا ، ولا مفر للجنة من أن تعترف بعجزها عن إيجاد ما يشار به الى الموضوع فى هذا النوع كله مع كثرة دوران فعل الأمر للواحد عل ألسنة الناس جميعاً ، وفى تعليم الأطفال خاصة .

ولم تستطع اللجنة أن توفق بين ما ذهبت إليه من اعتبار بعض الضمائر علامات دالة على العدد (تبعا للمازنى) وبين ما قررته بعد ذلك من اعتبار هذه العلامات ضمائر فعلاحين نصت على ذلك فى إسناد أنواع الفعل إلى الضمائر ؟ فان من هذه الضمائر ما اعتبرته من قبل علامات للعدد لاضمائر . على أن اعتبار هذه الضمائر الدالة على العدد علامات فقط ، والتسوية فى المعنى بين أقام الرجال ، والرجال قاموا — يفوت ما اعتدت به اللجنة من أحكام التقديم والتأخير فى علم البلاغة اعتداداً كبيراً .

سادساً — وقد سمت اللجنة المفاعيل والحال والتمييز تكملة ، وعلماء المعانى يسمونها متعلقات ، والنحويون يسمونها بأسماء تدل على الغرض منها شرحاً للمراد

بها ، فاعرابها على الصورة المألوفة أدل على المراد بها ؛ وأكثر توضيحاً للمعنى من تسميتها متعلقات أو تكملة .

إن اللجنة تريد أن تقول فى إعراب : « كافأ الناظر المجتهدين اليوم أمام إخوانهم مكافأة حسنة . ما يأتى : كافأ محمول ، والناظر موضوع ، والمجتهدين اليوم أمام إخوانهم مكافأة حسنة – تكملة . هذا هو الاعراب الذى تريد اللجنة ، وما أسهله على الناس جميعا إذا فهموا الموضوع والمحمول ؟ فكل كلام فى اللغة العربية وغيرها موضوع ومحمول وتكملة . أما أن يفهم الناس عامة ، والتلاميذ خاصة المراد بكل كلمة ، فليس هذا مما يعنى اللجنة فى قليل أو كثير ما دام الناس يحفظون ثلاث كلمات هى : موضوع ، محمول ، تكملة !!!

على أن اللجنة بعد أن أجملت إعراب التكملة شعرت بنقص واضح فى ذلك ، فلم تجد مناصاً من العودة إلى التفصيل تحت ستار « أغراض التكمله » فقالت : يجىء التكملة لبيان الزمان أو المكان أو لبيان العلة . . . . الخ

ونحن نقول : إن التلميذ إذ كلف إعراب التكملة وبيان الغرض منها عاد إلى الاعراب المألوف المتداول مع إطالة ، فهو يقول فى إعراب « ضاحكا » من « جاء محمد ضاحكا » ضاحكا تكملة مفتوحة جىء بها لبيان الحالة . أفليس خيراً من هذا وأوجز أن يقول « ضاحكا » حال منصوب ؟

إن الاعراب فرع المعنى كما يقول النحاة ، فنحن حين نسأل التلميذ عن الاعراب لا نريد الاعراب لذاته ، ولكنا نريد أن نعلم أفهم المعنى أم لم يفهمه ؛ ونحن نكتفى أن يعين لنا المفعول ونوعه والتابع ونوعه وما هو مبين لحال أو مميز لشىء .

سابعاً — ذكرت اللجنة أن هناك أشياء لا يظهر فيها موضوع ومحمول ،

واكتفت أن يعلم الناشىء أن هذه أنواع من الكلام تسمى « أساليب »

وما ندرى ، أهذه وحدها التى تسمى أساليب ، ولا يسمى غيرها مما يدرس مفصلا أساليب أيضا ؟ كلها طبعا أساليب عربية ، ولكن اللجنة حين أعجزها أن ترى فى كثير منها موضوعا ، ومحمولا ، قالت سموها أساليب ! ! !

وقالت فى إعراب : ما أحسن الكتاب ، إن ما أحسن صيغة تعجب ، والكتاب متعجب منه . ومعنى هذا أننا إذا قلنا للتلميذ : أعرب «ما أجمل الحديقة» يقول مكتفيا : هذا تعجب من الحديقة

ونحن لا نرى فى هذا رأى اللجنة ؛ ولا نوافقها عليه ، لأن هذا جواب عن سؤال عن معنى هذه الصيغة لا إعراب لها ، ولا بيان لحكم حركاتها . ثم هذا النوع من الاعراب — ونسميه إعرابا تسامحا — لا يدل على الصور المختلفة لما سمته اللجنة أساليب ؛ كالاستغاثة والندبة ونحوها مما نطقته العرب بصور مختلفة . ولو قالت اللجنة : يؤتى للتلميذ بالأساليب العربية فى صورها المختلفة ، وينبه إلى وجوه النطق بها ، ولا يكلف إعرابها ، لكان قولا سائغا مقبولا ، كما نص على ذلك فى المنهج الحالى ، ووضعت عليه كتبه . أما أن نقول له أعرب ثم يكتفى فى الاعراب بأن يقول هذه جملة للتحذير ، وهذه جملة للاغراء ، وهذه للتعجب ، وهذه للاستغاثة ، فان الجهال والمتعلمين جميعا يستوون فى إدراك ذلك . ولا فائدة إذاً من التعليم والتثقيف والعمل على إحياء اللغة العربية والنهوض بها ، وجعلها لغة دراسة وكتابة وترجمة ، ووفاء بمطالب الحياة كلها كما يجب أن تكون

ثامنا — وترى اللجنة أن يقتصر فى دراسة الصرف للتلاميذ المبتدئين على الضرورى .

ونحن لا نخالفها فى ذلك ، ولا نرى ضرورة للزيادة إلا للمختصين المتوسعين .

و بعد ، فقد عدلت الوزارة مناهج اللغة العربية فى مدارسها الابتدائية والثانوية، فحذفت من النحو والصرف ما لا ضرورة له فى تعليم النشء ، وألفت كتب على المناهج المعدلة ، وراجعتها لجان من رجال الثقافة والنهضة ، وكان فى لجنة المناهج والتأليف والمراجعة جل أعضاء لجنة التبسيط ، فحذفوا ما لا حاجة إليه ، وأبقوا الضرورى الذى لا غنى عنه مما لا يكاد يبلغ نصف ما كان يدرسه التلاميذ السابقون ويجيدونه، فلا يجوز أن يمس ما يدرس الآن بحال من الأحوال .

ولسنا نشك فى أن اللجنة فكرت فى أمر اللغة والنهوض بها ، وهذا ما نحمده لحضرات أعضائها الأجلاء ، ولكننا نعتقد أنها لم تصل إلى ما تريده من التيسير والتخفيف ، ولا بد من وقت طويل يتابع فيه المفكرون جميعا البحث والتأمل للوصول الى الغاية المنشودة إن كان فى الامكان أن يكون النحو خيراً مما كان

لقد مضى على النحو نحو ألف وثلثمائة سنة يتناوله فيها التهذيب والاصلاح والتدوين ولكنه لم يخرج عما وضعه الأوائل ودونوه ، فليس من الميسور أن تكون أسابيع معدودة يبحث فيها ستة أو أكثر من فضلاء الأدباء كافية لاخراج نحو جديد ، ولكنها وأقل منها تكفى للنظر في أسس جديدة تتبع فى دراسة النحو وتسهيل هذه الدراسة على الناشئين

أما البلاغة ومزجها بالأدب ، فلا نرى كذلك فيه رأى اللجنة ، بل نرى الاكتفاء فى الأدب بدراسة نصوص لكل عصر مع الموازنة بينها ، ولفت النظر إلى مواطن الجودة والضعف فيها . وموضع هذا دراسة النصوص الأدبية .

ونرى الاكتفاء فى البلاغة الاصطلاحية بما مزجته اللجنة من موضوعاتها بالأدب ، فيجرد ويدرس وحده ، ويطبق عليه ما يدرس من النصوص وما يشابهه على نحو ما هو الآن فى المنهج الجديد الذى اشترك فى وضعه وتأليف كتبه ومراجعتها كثير من حضرات أعضاء لجنة التبسيط .

هذا ما عن لنا سطرناه فى إيجاز كثير ، ونكرر الشكر لصاحبى المعالى وزير المعارف السابق ووزيرها الحالى على عنايتهما باللغة العربية الشريفة والنفع بها ، ونرى أن زيادة العناية باعداد المعلمين والاقلال من الحصص ، وحسن الرقابة من النظار والمفتشين ، وتقدير المجدين من المعلمين والطلاب ، واختيار المحاضرات الأدبية ، و بعث روح التنافس بين المتعلمين ، و إحياء كتب الأدب العربى ، والقيام على ضبطها و إصلاحها ، وتأليف الكتب القصصية المهذبة للمطالعة ، ونشرها بين الطلاب — كل أولئك يساعد على نشر اللغة وجعلها لغة التخاطب والتعلم .

وتفضلوا يا معالى الوزير بقبول خالص احترامنا و إجلالنا

تحريرا فى ٢٨ من ربيع الآخر سنة ١٣٥٧ ﻫ
٢٧ من يونيو سنة ١٩٣٨ م

الأعضاء

محمود السيد عبد اللطيف أحمد صفوت محمود أحمد ناصف

السباعى السباعى بيومى أحمد يوسف نجاتى

الأساتذة بدار العلوم

نقـــد

تقرير لجنة تبسيط القواعد

لصاحب العزة الأستاذ جاد المولى بك المفتش الأول

أولا — نقد المقدمة :

مهدت اللجنة لتقريرها بمقدمة قيمة أبانت فيها حاجة النشء إلى ما يقوم ألسنتهم ويحبب إليهم لغتهم ، ويجعلها وسيلة إلى تأدية الأغراض العلمية التى تؤدى بغيرها من اللغات الحية فى المدارس والبيئات المثقفة .

وإنى أوافق اللجنة على ما ذهبت إليه فى هذه المقدمة من وجوب التزام المعلمين التكلم بها ، فى جميع المواد التى تعلم بالعربية ، ومن وجوب إمداد التلاميذ بالكتب الصالحة المشوقة للقراءة ، والتى تحبب إليهم الاطلاع والتوسع ، ويسرنى أن أقرر أن الوزارة آخذة فى تحقيق ذلك

بيد أن اللجنة قَفتْ على ذلك بقولها : « إن أهم ما يعسر النحو على المعلمين والمتعلمين أمور ثلاثة : فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا ويسرفوا فى الافتراض والتعليل ، وإسراف فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات ، وإمعان فى التعمق العلمى باعد بين النحو والأدب » ثم تخلصت من ذلك إلى أن هذه الأمور الثلاثة كانت سببا فى ضعف اللغة العربية .

ولست أوافقها على رأيها هذا ، لأن التلاميذ لا يجدون فيما بين أيديهم من الكتب الآن شيئا مما افترضته اللجنة ؛ فلا فلسفة القدماء ، ولا الاسراف فى القواعد والاصطلاحات ، ولا الأمعان فى التعمق العلمى . وإنما اشتملت الكتب المقررة على

قواعد موجزة ألفت تأليفاً مدرسياً ، والمعلمون يبذلون جهداً مشكوراً فى توضيحها وتيسيرها ، والتلاميذ يستفيدون منها الفائدة المرجوة من أمثالهم .

ثانياً — نقد مادة التقرير :

(ا) باب الإعراب

ترى اللجنة وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والمحلى ، لما فى ذلك من عناء ومشقة من غير فائدة فى ضبط آخر الكلمة .

والرأى أنه لامانع من العمل بهذا للمبتدئين « وهو ليس بجديد » ، إذ هو المتبع الآن فى المدارس . فمثلا لا يعلم الإعراب التقديرى والمحلى فى السنة الثانية الابتدائية وإنما يعلم تدريجاً من السنة الثالثة الابتدائية ، أما غير المبتدئين فلا نوافق على جهلهم هذا الضرب من الإعراب ، لما يأتى :

(ا) ـ إذا وقع ذو الاعراب التقديرى أوالمحلى موضوعا مثلا مثل: الفتى مجد، وأنت نبيل ، وأراد التلميذ أن يعرف لماذا لم يضم آخره ، فبماذا يجيب أستاذه ؟

(ب) ـ يرى التلميذ أن الفتحة تظهر على الياء فى الاسم والفعل ، وعلى الواو فى الفعل ولا تظهر الضمة على الياء فى الاسم والفعل ، كما أن الكسرة لا تظهر على الياء فى الاسم وذلك يدعوه حتما إلى السؤال عن سبب ذلك .

فاذا أجيب عما تقدم فى (ا ، ب) كان رجوعا إلى الحال التى تسير عليها المدارس الآن . و إذا لم يجب وقع فى حيرة قد تدعوه إلى الخطأ ؛ لأنه لا يفرق بين الثقل والخفة

(ج) ـ معرفة الاعراب التقديرى والمحلى ضرورية للطالب فى ضبط التابع بعد المتبوع .

أما ما أشارت اليه اللجنة من إعراب ياهذا ، و ياسيبويه ، ونحوهما ؛ فذلك على قلة دورانه فى الكلام لا يعلم بالصيغة التى ذكرتها اللجنة فى المدارس ، وإنما فى معاهد التخصص ، وهو حينئذ ينبغى أن يعلم .

(ب) العلامات الأصلية والفرعية

ترى اللجنة القول بعدم الفرق بين العلامات الأصلية والفرعية للإعراب ، وقسمت الاسم المعرب سبعة أقسام :

(١) اسم تظهر عليه حركات الإعراب الثلاث ، وهذا لا غبار عليه

(٢) اسم تظهر عليه الحركات الثلاث مع مدها ، وهو الأسماء الخمسة .

ولا تبسيط فى هذا ، لأن رفعها بالضمة مثلا ، وجعل الواو للاشباع عملان والأصل عمل واحد .

والتبسيط هو أن يقال : مرفوع بالواو ، و بدون ذكر نيابة عن الضمة . (وهو ما يسير عليه الطلبة فى الإعراب الآن)

(٣) اسم تظهر عليه حركتان : ضم ، وفتح ، وهو الممنوع من الصرف .

وهنا لم تتعرض اللجنة لاعرابه فى حال جره ، وذلك لا يعدو أمرين: الأول : أنه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة ، وهو ما لا تريده اللجنة لأنه الأصل ، فلا تبسيط

الآخر : أن يكون مجرورا بالفتحة فحسب . وهنا إشكال فى تابعه . على أنها لم تتعرض لجره بكسرة إذا حلى بأل ، أوأضيف ، وفى ذلك حيرة للطالب إن لم يعرف السبب .

(٤) اسم تظهر عليه حركة واحدة وهى الفتح (وقد بينا سابقا فى الفقرة (ا) من الاعراب التقديرى ما فيه مقنع فى الرد على هذا النوع من الأسماء)

(٥) اسم تظهر عليه حركتان : ضم ، وكسر . ويرد عليه بما قيل في رقم (٣)

(٦) اسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون، وهو المثنى . ولم تبين اللجنة فى أى حال من حالات الاعراب تكون الألف والنون أو الياء والنون ! على أن تعبير اللجنة يدخل : عثمان وغضبان ونحوهما مع أن هـذا الضرب تظهر عليه الحركة . أضف إلى ذلك أن نون المثنى قد تحذف مثل : غصنا الشجرة مورقان : فيقع التلميذ فى حيرة حين لا يرى إلا الألف فقط دون النون .

(٧) اسم تظهر فيه واو ونون ، أوياء ونون ، وهو المجموع بهما ، ويرد على هـذا بما رد به على المثنى رقم (٦) السابق .

(ج) ألقاب الاعراب والبناء

ترى اللجنة أن يكون لكل حركة لقب واحد فى الاعراب والبناء ، وأن يكتفى بألقاب البناء

ونحن نرى أن توحيد الألقاب يجعل التلميذ يخلط بين المعرب والمبنى ، وأن الرفع ليس حركة إعراب كما رأته اللجنة بل هو نوع إعراب . على أن كلا من الجزم والسكون ليس حركة كما سمتهما اللجنة .

(د) الجملة

ترى اللجنة أن تسمى جزأى الجملة موضوعا ومحمولا ؛ وليس فى ذلك من تيسير فالتلميذ فى السنة الثانية الابتدائية يمكنه أن يفهم الفعل والفاعل ، ولا يمكن أن يفهم المحمول والموضوع بحال .

(هـ) أحكام إعراب جزأى الجملة

تقول اللجنة : إن الموضوع يكون مضموما دائما ، إلا أن يقع بعد إن أو إحدى أخواتها ، فكيف يكون مضموما إذا كان واحد من : الفتى ، أو أنت ، أو من ، أو

هؤلاء – موضوعا ! مع العلم بأن اللجنة ترى الاستغناء عن الاعراب التقديرى والمحلى ؟ أضف إلى ذلك أن الموضوع يكون منصوبا (مفتوحا فى رأى اللجنة) إذا وقع مفعولا به لظن ، أو مفعولا به ثانياً لأرى مثلا . ولم تذكر اللجنة شيئاً عنه .

على أن اللجنة أغفلت اسم الفعل على كثرة دورانه فى الكلام .

(و) الضمير

أما ما تراه اللجنة من القول بعدم الضمير المستتر ، فليس فيه أدنى تيسير ، ذلك لأن استتار الضمير أسهل بكثير من تفهيم التلميذ أن الهمزة فى (أقوم) مثلا نابت عن الموضوع .

ومن جهة أخرى فعلى رأى اللجنة (قُمْ ، وصمْ ، ونحوهما) لا يسمى كلاما ، إذ ليس فيه موضوع ولا إشارة لموضوع . وفى ذلك إخراج للغة عن أوضاعها ، ونبذ لأساليب عربية صحيحة .

وكذلك ماتراه اللجنة من أن : أنا قمت بحراسة المعسكر ، يساوى فى المعنى : قمت أنا بحراسة المعسكر – فيه خلط فى بلاغة الأساليب المفهومة من التقديم والتأخير .

(ز) التكملة

أما ماتراه اللجنة فى التكملة فهو لف معسر اضطرها إلى تسمية كل تكملة باسمها . وهو رجوع إلى الحال الأولى ، التى هى أوضح وأحسن من مقترحاتها الجديدة .

(ح) الصيغ الخاصة

وأما ما أشارت به اللجنة من أن صيغة التعجب مثلا ، تعلم على أنها أسلوب فهو خطأ ظاهر ، فقد يؤدى بالتلميذ إلى تكوين أساليب على مثالها من نحو : ما أزرق

السماء ، وما أموت الثعلب ، وما أبنى القناطر . إلى غير ذلك من الصيغ غير المستوفية الشروط .

على أن اللجنة لم تصب شاكلة الصواب فى قولها : « أما إعرابها فسهل (ما أحسن) صيغة تعجب ، والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح » ؛ لأن هذا ليس باعراب ، وإنما هو تبيان معنى .

(ط) مقترحات البلاغة

أما البلاغة فقد أتت اللجنة فيها بكثير مما هو أدخل فى مادة الأدب ، ثم تركت أبوابا هامة ليس عنها غنى لطالب البلاغة : كفصاحة الكلام ، والمفرد ، والفصل والوصل .

الخلاصة

مما تقدم يتبين أن التقرير لم يأت بما يحقق الغرض الذى تتطلع إليه النفوس ، من تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة ، وجعلها قريبة المنال سهلة المأخذ

ومن أجل ذلك أرى أن سبيل الاصلاح المنشود ما يلى :

(١) إصلاح شأن المعلمين اصلاحا شاملا .

(٢) زيادة الحصص

(٣) تهذيب النظام المتبع فى الانشاء والتطبيق ، لأن فيه إجهادا كثيرا للمدرس ، وقلة غناء للطالب

(٤) أخذ الطلبة بتعود التكلم باللغة العربية الصحيحة ، و إلقاء المحاضرات الأدبية ومكافأة المجدين .

(٥) العناية بالمطالعة بالاكثار من الكتب الحديثة القيمة ، والكتب القديمة التى تعرض عرضاً حديثا وكتب القصص العربية والمترجمة ترجمة سليمة ، لأن ذلك يكسب الطلاب ثروة لغوية وأدبية ، ويوسع مداركهم

(٦) حذف المسائل والأبواب التى يمكن الاستغناء عنها ، إما لأنها لا يتوقف عليها معرفة ضبط أواخر الكلمات كالإعلال والابدال، وإما لأنها ليست كثيرة الدوران فى الكلام، مثل: تصغير غير الثلاثى ، والندبة ، والاستغاثة والاشتغال وإما لأنها يصح فيها وجهان (فى بعض المسائل) مثل العطف عل الضمير المستتر . فما دام العطف جائزا من غير فصل ، فلا داعى لعقد باب له ، وهكذا من الأبواب التى لا تعود على الطلاب بكبير فائدة .

محمد أحمد جاد المولى

المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف

رأى

جماعة دار العلوم

فى تقرير اللجنة التى ألفت لتيسير القواعد العربية

أصدرت وزارة المعارف فى عهد حضرة صاحب المعالى بهى الدين بركات باشا قرارا بتأليف لجنة من رجال الجامعة ورجال المعارف وعهدت إليها أن تبحث فى تيسير القواعد العربية وأن تتقدم بمشروع يبين الأسس التى تشير بها لهذا التيسير وقد تقدمت اللجنة بتقرير بسطت فيه رأيها وضمنته اقتراحاتها وما تراه من تغيير و إنا نحمد للعاملين على النهوض باللغة العربية جليل مسعاهم ونشكر للجنة غيرتها على لغة البلاد وهى قوام نهضتنا الأدبية والفكرية ، ورمز مجدنا الغابر والحاضر ، وأساس ثقافتنا التى يعمل الساعون لخير هذا الوطن على إقامة دعائمها ونشر لوائها الذى تحمله مصر فى طليعة الأمم الشرقية ذات المجد الخالد والعز التالد

نشكر للجنة ما أبدت من مقترحات بشأن العناية بلغة المعلمين فى جميع مواد الدراسة وبتصفية اللغة العربية مما يزاحمها من العامية الجارية على الألسنة فى شتى النواحى ونحمد لها رغبتها فى أن يخلص التعليم الابتدائى للغة الوطنية

« وأن يمكن التلاميذ وقتا ما من التفرغ للغتهم والانقطاع لها بحيث لاتزاحمها على عقوهم وأذواقهم وذاكرتهم لغة أجنبية » .

نشكر للجنة كل هذا ونرجو أن تعمل وزارة المعارف على تنفيذ هذه المقترحات ذات الشأن فى ترقية اللغة العربية والنهوض بها

وإنا إذ لمحنا فى تقرير اللجنة الرغبة الخالصة فى الاصلاح وترحيبها بنقد الناقدين

نتقدم بما عن لنا فى هذا التقرير فنجمل ملاحظاتنا على ما أبدته من آراء فى القواعد العربية وتيسيرها وما نريد إلا الاصلاح .

سلكت اللجنة للتيسير طريقا ينطوى على عناصر ثلاثة هى :

ا) تغيير فى طائفة من الألفاظ الاصطلاحية

ب) تغيير فى التبويب بضم بعض الحقائق إلى بعض تحت اسم جديد

ج) الاستغناء عن بعض المباحث

وقد عالجت اللجنة ذلك معالجة لم تسفر عن التيسير المنشود ، ولم تصل إلى شىء يحمده المعلمون أو المتعلمون ويجدون فيه خطة قريبة المنال

و إنا لنلمح فيما عملته اللجنة مظاهر ثلاثة كانت من العوامل التى باعدت بينها و بين الوصول إلى النهج السليم فى التيسير :

١ - فانها حرصت على أن تجىء بشىء جديد و إن باعدت بين المتعلمين والغاية ، فلجأت إلى التغيير فى الاصطلاحات وفى الأوضاع والأقسام ، لا للتيسير بل حباً فى التغيير و إغراماً بالتجديد الذى لا يسر فيه .

٢ — وحددت اللجنة مواطن الصعوبة تحديداً ليس بينه و بين الواقع الآن والسائد فى المدارس صلة ، وتخيلت أن هناك فلسفة للنحو تمتلىء بها أفواه المتعلمين ، وتضج منها السنتهم ، وتفيض بها الكتب الدراسيه التى بأيديهم . ورأت أن الصعوبة إنما هى فى علامات الاعراب ، وفى تقدير الحركات ، وفي تسمية جزأى الجملة مبتدأ وخبرا ، أو فعلا وفاعلا ، إلى غير ذلك . وبنت على هذا رأيها فى التيسير ، فوجهت جل اهتمامها إلى التغيير وقلب الاصطلاحات والأوضاع ؛ وكدت الفكر فى البحث عن ألفاظ اصطلاحية أخرى زعمت أنها هى التى تقرب الحقائق إلى الأذهان

٣ — يدل تقرير اللجنة على أنها ليست على اتصال بطرق تدريس القواعد فى

المدارس ، ولا بالتدرج الذى سارت فيه المناهج فى السنوات الأخيرة ، ولا بالحلقات الاصلاحية المتعاقبة التى جدت فى أساليب الاختبار والتمرين فى القواعد العربية ، ولا بما يبذله المعلمون من وسائل وصلت بالقواعد إلى غاية عملية إنشائية ممزوجة بالتعبير السليم ، ولا بما يطالب به المعلمون تلاميذهم من أساليب في الاعراب ؛ ولو أن اللجنة بحثت فى هذا الموضوع لوجدت فيه مايغنيها عما زعمته إصلاحا .

ونظرة إلى المناهج فى أدوارها المتعاقبة ، و إلى كتب القواعد وما فيها من تبويب وترتيب ، و إلى طرق تدريس القواعد العربية وما يبذله المعلمون من جهود فى تذليلها وتيسيرها — نظرة إلى ذلك كافية للاقتناع بأن رجال اللغة العربية فى وزارة المعارف قد رسموا خطة للاصلاح وساروا فيها مرحلة بعد أخرى سيراً مقروناً بالتجارب ؛ وكلما بدا لهم تغيير أو تبديل قاموا به فى هدوء وخطة متئدة .

فهل رجعت اللجنة إلى كل هذا ؟ إنها لو فعلت لوجدت سلسلة من الاصلاح تجعل لها فى تيسير القواعد رأياً غير الذى جاءت به فى تقريرها . وهل رجعت اللجنة إلى ما تصدر به المناهج من إرشاد للمدرسين وتوجيه للتدريس ، و إلى ما يبدى المفتشون من ملاحظات عقب تفتيشهم ؟ إنها لو فعلت لعلمت أن القائمين على اللغة العربية من رجال المعارف قد خطوا خطوات موفقة وصلوا بها إلى غاية محمودة .

ولقد كان يجمل باللجنة أن تفعل ذلك فان له بمهمتها صلة وثيقة ، وأن تنظر إلى ما تجرى عليه المدارس في دراسة القواعد العربية ليكون عملها نقداً قائماً على الأسس الصحيحة وجهداً فى الاصلاح يضاف إلى جهود غيرها ، أو حلقة مكملة لما جهد فى سبيله رجال المعارف من إصلاح مقرون بالتجارب والتمحيص .

إذن لحمدنا لها سعيها وأيقنا أنها تصدر عن خبرة وتمحيص ، واعتراف بجهود من قاموا بالاصلاح فى تدريس القواعد بالمدارس المصرية ، ومن بذلوا ولا يزالون يبذلون جهوداً فى تيسيرها . ولـكن ، ولكن اللجنة تخيلت للمدارس ومناهجها صورة غير

صحيحة ، و بنت على هذا أساليبها فى النقد . وافترضت أن هناك « أولا » فلسفة دعت إلى الافتراض والتعليل « ثانياً » إسرافاً فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات « ثالثا » إمعان فى التعمق العلمى . وقالت إنها حاولت أن تخلص النحو من هذه العيوب الثلاثة : فتبرئه من الفلسفة ، وتمحو منه الافتراض ، وتقارب بين أصوله وقواعده .

فهل فى المدارس وفيما يدرسه المعلمون لتلاميذهم شىء من هذا ؟ الحق أن اللجنة توهمت وأمعنت فى التوهم ، وتخيلت و بالغت في التخيل ؛ فتصورت هدفا تصوب إليه مافى جعبتها من سهام أعدتها للهدم لا لاقتناص الجديد من سليم الآراء وصادق الفكر .

وقد استطردت اللجنة وخرجت عن المهمة التى كلفت أداءها ، وهى تيسير القواعد العربية لتلاميذ المدارس ، و إتمام ما قامت به الوزارة من جهود فيما سبق ؛ فجملت نظرتها إلى القواعد وكتبها شاملة ، وقامت تندد بفلسفة القدماء فى النحو ، و بامعانهم فى التعمق العلمى ، وتنادى بالقضاء على هذه الفلسفة وهذا الامعان .

ولسنا الآن بصدد رأى اللجنة فى هذه الفلسفة النحوية . ولا فى هذا الامعان فى التعمق العلمى؛ ولكنا نقول إن لهذا مكانته فى الدراسة العالية لمن يريدون التخصص في قواعد اللغة العربية وما يتصل بها ، وما يحتاج إليه ذلك من التوفر على البحث فى كتب المتقدمين ، تلك الكتب التى يحمد البحث فيها لمن يريد الاستزادة من اللغة وفقهها وأصولها وأسرار تراكيبها ، وما إلى ذلك مما يخدم القرآن الكريم والحديث الشريف ويعين على فهمها .

نقول اننا لسنا بصدد المناقشة فى كل هذا ، و إنما نحن أمام موضوع محدود كلفت اللجنة أن تبرم فيه رأيا ، ذلك هو تيسير القواعد لتلاميذ المدارس . فهل سلكت اللجنة الجادة للوصول إلى هذه الغاية ؟ وهل وفقت فيما جاءت به من آراء ؟ إن الذى

يتجلى فى تقريرها أنها قد أجهدت نفسها فى التغيير وحاولت أن تظهر التجديد الذى أغرمت به وملك عليهازمام تفكيرها حتى خيل إليها أنه حلقة التعليم المفقودة فى الجيل الحاضر .

إن تيسير القواعد ليس بالخطب الجلل ، وإن القواعد ذات الأثر العملى فى النطق السليم والكتابه الصحيحة ليست من المعجزات ، وإن الغاية التى تدرس القواعد من أجلها إنما هى ضبط أواخر الكلمات ، ولهذا الضبط سببان أساسيان :

أولهما : أدوات خاصة معدودة

وثانيهما : وظيفة الكلمة وموضعها من الجملة وأثرها فى معناها ؛ فالتيسير يجب أن يدور حول هذا المحور .

وإذا أخذنا من القواعد العربية بالنصيب الذى يحقق هذا فأنا نصل إلى الغاية من أيسر السبل ولا نحتاج إلى تغيير كبير ، ولا قلب للأوضاع ، ولا خلق اصطلاحات جديدة لا خير فيها .

ولقد كانت هذه هى خطة رجال المعارف كما قدمنا ، وكانت حلقات الاصلاح والتيسير التى قاموا بها متماسكة ولا سيما بعد سنة ١٩٢٥ حين أتيحت الفرص لتغيير المناهج فتسابق رجال اللغة العربية بوزارة المعارف الى التجديد فى المناهج وفى الكتب الدراسية فى القواعد العربية ، وساروا سيرا حثيثا إلى أن فاجأتهم تلك الحركة الأخيرة فى مناهج القواعد وكتبها، وباغتهم هذا التغيير الذى لا يتصل بحلقات الاصلاح التى قاموا بها . فأن هذه المناهج (مناهج سنة ١٩٣٥) قد قطعت سلسلة هذا الاصلاح ، ورجعت به إلى الوراء خطوات ؛ وجاءت الكتب التى ألفت لهذه المناهج فزادت الخطب عسرا ، وتضمنت كثيرا من التفصيل الذى لا يحتاج إليه تلاميذ المدارس ولا يرتبط بالغاية الواضحة التى يرمي إليها المصلحون من رجال اللغة العربية . ومن أمثلة ذلك ما عرضت له اللجنة (لجنة تأليف كتب القواعد) فى إعراب صيغتى التعجب ، وما أكثرت من

تفصيل فى أنواع الاعلال والابدال اللذين قالت لجنة التيسير عنهما فى تقريرها إنهما من المسائل التى لا يصل إلى إدراكها فهم البادىء ؛ إلى غير ذلك من مسائل كثيرة متفرقة جاءت فى غضون كتبها ومباحثها .

ومما يدعو إلى العجب أن الزمام فى هذه اللجان كان لفريق أعضاء لجنة التيسير التى نحن بصدد تقريرها ؛ ولقد كان يجدر بحضراتهم وقد عهد إليهم أن يشتركوا فى المناهج وفى كتبها ، أن يحققوا ما لديهم من نظريات فى الاصلاح والتجديد إن كان لديهم شىء من هذا ، وأن يعملوا على إدخال التيسير الذى يسردون مظاهره وقواعده الآن سردا . فهل كان لحضراتهم رأى غيرما يرون الآن فى تقريرهم ؟ أوهم ضنوا بآرائهم حين طلب إليهم وضع المناهج وتأليف الكتب ؟ أو أن الآراء التى يبدونها الآن ليست وليدة نظريات ناضجة فى التيسير ؟ أوتجارب متدرجة على أساس من الخبرة والاقتناع واليقين ؟

ولم يقف الخلط والبعد عن حلقات الاصلاح عند هذه المناهج الاخيرة التى أشرنا إليها ، بل لأن لبعض حضرات أعضاء اللجنة (لجنة التيسير) أثرا فى مناهج أخرى قبل ذلك جاءوا فيها بما هو غريب عجيب ، وبعدوا عن التجديد الذى يزعمون الآن أنهم من رجاله ، وأمعنوا فى الأسراف فى القواعد إمعانا ، ولم يتركوا مما ينقدون الآن شيئا حتى اضطرت الوزارة بعد ذلك حين أسفرت التجربة عن الاخفاق و إجهاد عقول التلاميذ أن تستبدل بمنهج التعليم الثانوى منهجا آخر أسمته المنهج المخفف . وتلك كانت المرحلة التى سبقت ذلك المنهج الأخير الذى أشرنا إليه وقلنا إن بعض حضرات أعضاء لجنة التيسير قد اشتركوا فى وضعه .

كل هذا يدل على أن حضراتهم لم يكونوا يبيتون رأيا ممحصا أو فكرة ناضجة ولكنهم كانوا يبيتون هدما وتغييرا ليس لهما من أسس علمية اللهم إلا الرغبة فى التغيير .

نعود بعد هذا إلى مناقشة ماسطرت اللجنة من آراء :

١ – ليس ماعملته اللجنة فى علامات الاعراب للتيسير، بل هو إطالة وتعقيد يبغض إلى نفوس التلاميذ دروس القواعد و ينفرهم منها، فان الحقيقة الثابته أن للاعراب علامات خاصة يستوى لدى التلاميذ أن تكون العلامة أصلية أو فرعية مادامت هى الظاهرة الخاصة التى تجىء حينما تكون الكلمة فى وضع خاص من الجملة أو حينما يقترن بها عامل من عوامل التغيير الاعرابى

وفوق هذا نجد فيما اقترحته اللجنة غموضاً وتضليلا للمتعلم، ذلك بأنه لا غنى له عن أن يدرك أن الممنوع من الصرف يجر ولكن لا بالكسرة وأن جمع المؤنث السالم ينصب ولكن لا بالفتحة و إن المثنى يرفع ولكن لا بالضمة الخ نقول أنه لا غنى للمتعلم عن معرفة ذلك لكى يظهر أثراً فى التابع الذى يجىء بعد الكلمة والاقتصار على القول بأن هناك أسماء تظهر عليها حركتان ضم وفتح (كالممنوع من الصرف) أو ضم وكسر (كجمع المؤنث السالم) أو حركة واحدة وهى الفتح (كالمنقوص) كل هذا لا يحقق الغرض من الوصول إلى الضبط الصحيح. على أن الخطب يسير لا يحتاج إلى أن تكابد اللجنة عناء البحث فيه بحثاً تعتبره تيسيراً.

ولنمثل لكل نوع من هذه الثلاثة لنبين بجلاء ما يقع فيه التلميذ من حيرة إن أخذ برأى اللجنة فى علامات الاعراب

فى الممنوع من الصرف

ماذا يفعل التلميذ إذا ولى الممنوع من الصرف تابع فى مثل : « أحسنت إلى أحمد المجتهد » ؟ الأمر مشكل على التلميذ لأنه إن نصب التابع كما يتبادر إلى ذهنه أخطأ . والأمر مشكل على المعلم أيضاً لأنه إن سكت أقر التلميذ على خطئه . وإن أرشده إلى نيابة الفتحة عن الكسرة فقد رجع إلى ما تدعى اللجنة أن فى حذفه تيسيرا. على أن الكسرة تظهر عليه إن أضيف أو دخلت عليه « أل »

فى جمع المؤنث السالم

وكيف يتقى التلميذ الخطأ فى تابع جمع المؤنث السالم فى مثل « خلق الله السموات والأرض » ؟

فى المنقوص

ثم كيف ينطق بتابع المنقوص فى مثل « حكم القاضى العادل على الجانى الآثم » ؟

وَمثل هذا يقال فى المثنى فى مثل « نظف التلميذ عينيه وفمه » و « يعتنى التلميذ بنظافة عينيه وفمه » وفى جمع المذكر السالم فى مثل « أكرمت المجدين كلهم » « وأحسنت إلى المتقين جميعهم »

٢ — أن الاستغناء عن الاعراب التقديري والمحلى أبداً يوقع فى اللبس فى حالة التابع أيضاً فى مثل « حضر الفتى المطيع » و « إن هؤلاء التلاميذ مجدون » و « شكرت خادمى الأمين » .

على أن الكتب المدرسية الحديثة يسرت الأعراب التقديرى والمحلى إذ اكتفت بأن الحركة غير ظاهرة وأعفت التلاميذ من تقديرها للتعذر أو للثقل أو للمناسبة إلى غير ذلك مما افترضته اللجنة قائماً وبنت عليه ما بنته مما ظنته تيسيرا .

٣ — أما رأى اللجنة فى الضمير فهو رأى يدعو إلى العجب لما فيه من خلط واختراع غريب لا أساس له من أصول اللغة و إنما هو مجاراة للمستشرقين الذين حاولوا أن يوازنوا بين اللغات موازنة مزجوها بعنصر من الفلسفة اللغوية التى قصدوا بها ناحية من البحث لمن أراد التعمق النظرى ولكن اللجنة التى أغرمت بالتجديد

على غير أسسه الصحيحة قد راقها أن تظرف التلميذ فى الخطة التى تقترحها للتيسير بهذه الفلسفة الجديدة فجاءت بما ينبو عن المعقول . ومن غريب ما جاءت به اللجنة فى هذا أنها اعتبرت أحرف المضارعة (الهمزة والنون) إشارة إلى « الموضوع » تغنى عنه . وهل فى هذا تيسير ؟ وهل هو أيسر من أن يعرف المتعلم الفعل ومعناه ، وأن يتصور أن الفاعل ملحوظ ، أو مختف ، أو مستتر ، دون أن يطالب بالتعبير الاصطلاحى ؟ إن هذا أيسر مع خلوه من الفلسفة ، ومن العجيب أنها ارتضت ذلك الاقتراح الفلسفى فى حرفين من أحرف المضارعة وهما الهمزة والنون وسكتت عن الياء والتاء فى مثل « يكتب وتكتب » ولعلها اعتبرت هذا من قبيل المثال « محمد كتب » الذى ترى أنه لاضمير فيه ، أو لعلها وجدت أن المستشرقين لم يتعرضوا للنص على الضمير فيما بدىء بياء أو تاء

٤ — اعتبرت اللجنة الضمير البارز الدال على العدد إشارة لا ضميرا . ولا ندرى الحكمة فى هذا التغيير اللفظى ، وهل فى استبدال كلمة بأخرى شىء من التيسير ؟ وهل قصدت اللجنة بهذا أن تسوى بين هذا النوع من الضمير وبين اسم الاشارة ؟ وأى تيسير فى هذا الخلط بين الحقائق ؟ الحق أن اللجنة قد استولى عليها حب التغيير وان زاد الحقائق تعقيداً .

٥ — ترى اللجنة أن الضمير المتصل أذا ذكر معه ضمير منفصل فهو تقوية له مثل « قمت أنا » و « أنا قمت » وهذا أيضاً من التعسف الذى جر اللجنة إليه ميلها إلى التغيير . فأنا لا ندرى الحكمة فى العدول عن كلمة توكيد التى ارتضاها المتقدمون إلى كلمة أخرى ليست أقرب إلى عقل المتعلم ، ولا أكثر دلالة على المراد . على أن فى رأى اللجنة خطأ هو تقوية الشىء قبل النطق به فى مثل « أنا قمت »

٦ — غيرت اللجنة تسمية جزأى الجملة لكى تدخل المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ونائبه واسم الناسخ وخبره تحت اصطلاحين اعتبرتهما جديدين . وفى هذا

تقليل للأسماء ولكنه ليس تيسيرا . فالمسألة ليست اختصارا فى التقسيم أو تقليلا من الأسماء وإنما هى فهم ما للكلمات من وظائف فى الجمل وربط ذلك بما يستتبعه من ضبط خاص أو تغيير فى أحوال الاسناد المختلفة للمفرد والمثنى والجمع وغير ذلك .

وإن المتعلم ليجد فى الاصطلاحات التى حاولت اللجنة العدول عنها كثيرا من المعونة على حل الجمل والابانة عن أجزائها إبانة مرتبطة بما تؤديه كل كلمة مثل مبتدإ وخبر ، وفعل وفاعل ، إلى غير ذلك ، فهذه الألفاظ الاصطلاحية بينها وبين مدلولها صلة وثيقة ولو وازنت اللجنة بينها وبين نظائرها من اللغات الأجنبية لشهدت بفضل واضعيها من المتقدمين .

هذا إلى أن الاصطلاح الجديد غامض غموضاً لم تتهيأ له عقول التلاميذ ، وإن ما عمله النحاة من تقسيم الجمل إلى اسمية وفعلية ، وتقسيم كلا جزأيهما باسم خاص لم يكن من مواضع العسر على المتعلم بل على العكس ، فان التفرقة بين الجمل الاسمية والجمل الفعلية لابد منها للانتقال بالمتعلم إلى القيود العاملة (النواسخ) فى حالة الجملة الاسمية وما لهذه القيود من أثر فى المعنى وفى ضبط الأواخر . وهى لازمة أيضاً لإيضاح الفرق بين الجملتين « التلميذ عبر النهر » و « عبر التلميذ النهر » حينما تجىء بكلمة التلميذ مثناة أو مجموعة ، ذلك الفرق الذى عقدت له اللجنة عنواناً خاصاً وهو « المطابقة بين الموضوع والمحمول » .

ولسنا الآن بصدد شرح الطريقة التى نسلكها لإيضاح ذلك للتلاميذ ولكنا نقول : لأن الطريقة التى نراها والتى ينصح بها رجال التعليم إنما هى الطريقة العملية لتكوين الجمل والاتيان بالأمثلة الكثيرة فى الأحوال المختلفة . وبذلك ترسخ التعبيرات فى ذهن المتعلم فينطق بها صحيحة بدون حاجة إلى البدء بشرح القاعدة التى ذكرتها اللجنة فى تقريرها وهى « إذا كان المحمول متأخرا لحقته علامة العدد التى توافق الموضوع . وإذا كان متقدماً لم تلحقه »

تقول اللجنة فى تقريرها ص ٩ « الموضوع هو المحدث عنه فى الجملة وهو مضموم دائماً » وحكمها على الموضوع بالضم دائماً يناقض تقسيمها الاسم المعرب سبعة أقسام، إذ قررت « أن الألف أصل فى المثنى ، والواو أصل فى الجمع بالواو والنون» فهذان القسمان خرجا من حكم الموضوع (وهو فى رأيها الضم دائماً) إذ لا يستقيم قولها هذا إلا إذا اعترفت بالعلامات الفرعية التى أنكرتها .

وكذلك تقول فى إعراب المحمول « إنه يكون إسما فيضم » وهذا الحكم يخرج المثنى وجمع المذكر السالم فى مثل « التلميذان فاهمان والتلاميذ فاهمون » ، ويُنْقَضُ قولها بضم كل من الموضوع والمحول إذا كان اسما بمثل « سميرى كتابى » .

وتقول « ويكون المحمول ظرفا فيفتح » وهذا خطأ بدليل قولك (كان العيد أمس) وكذلك تقول « إن المحمول يكون مجروراً مع حرف من حروف الإضافة » تريد حروف الجر ؛ وتسمية حروف الجر بحروف الإضافة قد توحى إلى التلميذ أن يقول فى مثل « جئت من المدرسة » من مضاف والمدرسة مضاف إليه . على أنه ليس فى التسمية القديمة عسر ، بل لعلها ترشد الطالب إلى أثر حرف الجر فيما بعد .

٨ — وفى الترتيب بين الموضوع والمحمول تقول اللجنة « الجملة العربية مرنة فى الترتيب طيعة ؛ فلا تلزم أحد الركنين موضعاً واحدا» وهذا خطأ، فان الموضوع يجب تقديمه فى مواضع معروفة وتأخيره كذلك ، وكذلك المحمول .

٩ — اختصت اللجنة بعض الصيغ فسمتها بالأساليب، ولا نرى موجباً لهذه التسمية؛ ونبهت على عدم التعرض لاعراب هذه الأساليب؛ وإن مانبهت إليه قد نص عليه فى المناهج التى وضعها رجال المعارف ، اللهم إلا الكتب الدراسية الأخيرة التى كان لبعض أعضاء لجنة التيسير نصيب فى وضعها أو مراجعتها ، فانها عادت إلى إعراب هذه الصيغ .

١٠ — أدخلت اللجنة فيما أسمته « الأساليب » موضوعات التوكيد والنداء

والاستثناء.ولا نرى معنى لهذا ، فانها ليست من العبارات التى قالت اللجنة عنها إن النحاه تعبوا كثيراً فى إعرابها وفى تخريجها على قواعدهم . ويظهر أنها أرادت أن تستكثر من الموضوعات التى ودت إدخالها تحت هذا العنوان الجديد الذى اخترعته فحشرت هذه الموضوعات حشراً .

١١ قد وضعت اللجنة لما عدا جزأى الجملة كلمة « تكملة » وليس فى التفصيل وفى إبقاء اسم خاص لكل نوع من أنواع المنصوبات شىء من العسر ، بل على العكس كلمات الحال والتمييز والمفعول والظرف ونحوها هى ألفاظ واضحة الدلالة على معناها والصلة بينها و بين وظيفتها فى الجملة متينة .

والاحتفاظ بها لهذا وسيلة من وسائل التيسير إذا سرنا فى تدريس هذه المباحث على الأساليب التعليمية الصحيحة وهى التى يتبعها مدرسو اللغة العربية الآن .

على أن اللجنة جاءت بعد ذلك وفصلت فى التكملة وقالت لمن لها أغراضاً وبذلك عادت إلى التفصيل الذى حاولت أن تفر منه .

ومن العجيب حقاً أن حكمت بان التكملة « مفتوحة أبداً إلا إذا كانت مضافا اليها أو مسبوقة بحرف إضافة » فأين من هذا الحكم « مفتوحة أبداً » التابع المرفوع والمجرور والمضاف إلى ياء المتكلم .

فى الصرف

أما رأى اللجنة فى الصرف فقد قالت فيه ص ١١ « ولمن أكثر مسائله من بحوث فقه اللغة التى لا يحتاجها البادىء بل لا يصل إليها فهمه » وقالت أيضا فى ص ٦ « وهذا كله حملنا على أن نعدل عن تعليم الصرف من حيث هو علم فقد رأينا أنه بفقه اللغة أشبه . وأن دراسته المستقصاة أحرى بالذين يفرغون للتعمق فى اللغة العربية وعلومها فأخذنا من أحكامه مالم نجد منه بدا ويسرناه تيسيرا وأشعناه فيما يلائمه من أبواب النحو» .

وهذا كلام عام يوهم أن مباحث هذا العلم قد بلغت الغاية من الوعورة والتعاصى على أفهام التلاميذ ، ولا يضير هذه المباحث أو يطمن فى فائدتها أن تعتبرها اللجنة من مباحث فقه اللغة أو من مباحث الصرف، فهى على الجملة موضوعات تتصل بجوهر اللغة وطواعيتها فى التعبير ، وتعين التلاميذ على تنمية ذخيرتهم اللغوية

ويقيننا أن لهذه المباحث أثرها العظيم فى الثقافة العربية للتلاميذ، ولها فى دروس المطالعة والمحفوظات وشرح النصوص شأن جعل مفتشى وزارة المعارف يولونها عنايتهم بالأرشاد الى طريق السير فيها فى خلال هذه الدروس حتى يجنى التلاميذ الثمرة المرجوة . لهذا لم نفهم اعتراض اللجنة على مباحث الصرف ولا منادتها بوجوب إغفالها . اللهم إلا إذا كانت قد ركزت كل مباحث الصرف فى مبحث واحد وهو موضوع الاعلال والابدال ثم أصدرت حكمها العام على جميع موضوعات هذا العلم ، وجعلتها من المباحث العسيرة الفهم المتصلة بفقه اللغة .

وليس هذا الفرض من الصواب فى شىء، فباحث الصرف كما قلنا أوسع ميدانا وأعم أثرا، ورأى اللجنة فيها بعيد عن التمحيص، وحكمها عليها لا يرضى به أعضاؤها أنفسهم أذاهم رجعوا إليها وعرفوا أثرها وفائدتها للتلاميذ .

أما أن يحصروها فى دائرة ضيقة وهي الاعلال والابدال ثم يصوبوا للعلم جميعه سهامهم فليس من الانصاف العلمى فى قليل ولا كثير ، بل هو نقد ليس له من أساس سوى الفروض غير الصحيحة .

فى البلاغة

أما البلاغة فقد قالت اللجنة إن أمرها أيسر من القواعد النحوية ، ولذا كانت خطتها فى تيسيرها بعيدة بعض الشىء من العنف والخلط اللذين سلكت سبيلهما فى القواعد النحوية .

والحق أن خطب التيسير فى جملته لم يكن عسيراً ، ولم يكن يتطالب هذه الضجة التى أحدثتها اللجنة ، ولقد كنا نود أن يكون شعارها فى نقد البلاغة الاعتراف بفضل المتقدمين،فتشير إلى ما كان لهم فى الموضوعات البلاغية من جهود موفقة، كما فعل عبـد القاهر الجرجانى فى كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأبو هلال العسكرى فى الصناعتين ، وغيرهما ممن مزج البلاغة بالأدب مزجاً تدعى اللجنة أنه من مبتكراتها،وإلى ما اهتـدى إليه المتأخرون من رجال البلاغة من بحوث قيمة أضافوها إلى بحوث القدماء . نعم لقد كان يجمل باللجنة أن تنوه بفضل هؤلاء وهؤلاء حتى لا تتهم بأن حملتها على الجميع كانت جارفة وبغير حق .

ومما يستوقف النظر ماقالته اللجنة عن الموضوعات التى اختارتها والتى أغفلتها ؛ فانها قالت «وألغينا منها ما لاصلة بينه و بين الحياة الأدبية » ولا ندرى ماذا قصدت اللجنةبهذا، فجملتها هنا غامضة، لأن المعروف أن المباحث البلاغية التى تركتها اللجنة لها بالأدب وبفنون القول صلة وثيقة ، فموضوع كالفصل والوصل هو ميدان للبلاغة فى أرقى درجاتها ، ثم هو متصل بالأساليب التى عدتها اللجنة من بحوث البلاغة وأوجبت على التلاميذ دراستها ؛ ولو أن اللجنة جعلت عذرها فى إغفال مثل هذا البحث عذراً تعليمياً متواضعاً، كمراعاة عقول المتعلمين وأفهامهم ، لـكان أدنى إلى القبول

وإذا نظرنا إلى المنهج الذى اقترحته اللجنة فى البـلاغة وجدناه يتضمن أنواعاً ثلاثة :

١ — موضوعات هى مما دون فى مناهج البلاغة قديمها وحديثها وهى :

معنى البلاغة . الايجاز والإطناب والمساواة . الجملة وتقسيمها إلى خبر وإنشاء . التقديم والتأخير . التشبيه والاستعارة . الـكناية . المحسنات البديعية .

٢ — مباحث من مناهج الأدب وهى :

الخطابة . الشعر . النثر . تراجم الأشخاص

٣ — أبواب قالت اللجنة إنها قد « بحث عنها القدماء من النقاد فى إجمال، و يبحث عنها المحدثون فى كثير من التفصيل » وهى الاسلوب . الوصف . القصص. المقالة . الفصول « الفقر » . وحدة الموضوع .

و يتضح من هذا أن اللجنة لم تأت فى مقترحاتها فى البلاغة بجديد .

و بعد فنحن من أنصار تيسير القواعد العربية ، ولكنا لا نرتضى الطرق التى سلكتها اللجنة فى هذا التيسير ، ولا نوافق على التغيير الذى اقترحته فى نواحى شتى ؛ فانا نعتقد أن التيسير ليس فى تغيير الاصطلاحات أو فى إدخال بعض الحقائق فى بعض ، ولكن دعائم التيسير يجب أن تقوم على الاقتصار على ما يحتاج إليه تلاميذ المدارس ، وعلى ماله صلة بالغاية التى تدرس القواعد من أجلها ، وهى لنطق السليم والكتابة الصحيحة ؛ وإلى جانب هذا تدرس الحقائق بالأساليب العملية دراسة ممتزجة بتكوين الجمل حتى ترسخ الأساليب السليمة فى أذهان المتعلمين .

وسائل التيسير

نشرنا قبل ذلك التقرير الذى وضعته اللجنة العلمية لجماعة دار العلوم ، ورفعه إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف برأى الجماعة ، الأستاذ نجيب حتاتة رئيس الجماعة .

وقد استمرت اللجنة العلمية بعد ذلك فى البحث الذى بدأته لتيسير اللغة العربية ، وانتهت إلى المبادىء التى نجملها فيما يأتى :

اللغة العربية كسائر اللغات خصائص فى كلماتها وأساليبها وتراكيبها ؛ ومن هذه الخصائص ما يرجع إلى ضبط أواخر الكلمات أو أشباه الأواخر ، ومنها ما يرجع إلى تغيير صيغ الكلمات لإيجاد كلمات جديدة مشتقة من غيرها ، ومنها ما يرتبط بترتيب الجملة وصوغها .

وقد جرى علماء النحو وواضعو كتبه على أسلوب الافاضة الشاملة والبحث العميق فى الألفاظ ومواقعها من الاعراب وأسباب بنائها وأسهبوا فى ذكر العلل وسطروا الشروط وقسموا المباحث أقساماً وبوبوها تبويباً مفصلا ومزجوا ذلك بأدلة من الفلسفة اللغوية وصاغوا علوم اللغة صوغاً وضعوا له الاصطلاحات والتعاريف ذات القيود المنطقية الجامعة المانعة وساروا فى كل هذا على أسلوب دقيق عميق فى شتى المسائل التى لاغنى للمتعمق فى البحث عن الالمام بقسط كبير منها .

نعم إن طائفة من الأسباب والعلل التى مزجوا بها بحوثهم ليست كبيرة الأثر من الوجهة العملية ، ولكن طائفة منها لها فى تكوين الجمل وصوغها وأصول الكلمات واشتقاقها شأن يقدره الباحث عن أسرار اللغة ، ولذا كان الحرص عليها فى مراحل التدريس العالى لا بد منه .

على أنا ، ونحن بصدد تيسير القواعد لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية

نرى أن كثيراً من ذلك ليس له بالتعبير الصحيح صلة ، ولا يمت إلى فهم الأدب برابطة ، فمن الصواب أن نخفف أعباءه عن المتعلمين فى مرحلة هم أشد مايكونون عناية فيها إلى الحاجة باللباب ، وإلى الاستزادة من دراسة جيد الأساليب ، وبليغ المأثور ، مما يزيد الثقافة ، ويشحذ الفكر والقلم .

ويجمل بنا ألا نغفل عن حقيقة لاريب فيها ، وهى أن التغلب على مافى الألسنة من عجمة ، وعلى مافى الأقلام من انحراف ، وأن النهوض باللغة العربية وأدبها لا يكون بدراسة القواعد النحوية ، فما عهدنا نبوغاً فى فنون القول أو فى قوة التعبير كان عماده دراسة هذه القواعد ، فكبار الكتاب ، وذوو الأقلام المرهفة ، لم يستمدوا براعتهم مما درسوا من قواعد النحو وتتبع علله ، بل من التوفر على دراسة الأدب وتفهم أساليب الكتاب والشعراء .

على أنه لا جدال فى أن دراسة طائفة صالحة من القواعد العربية أمر لابد منه ، ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن هذه الطائفة لا ينبغى أن تعدو القدر الذى يساعد على التعبير السليم ، وعلى تفهم العبارات الصحيحة ، وهو قدر يسير هين التحصيل ، لاتضج منه الأفهام ، وليس منه ماأفاض النحاة فى تسطيره ، وكدوا الهمة فى شرحه .

ولقد عنى أبناء دار العلوم منذ فجر النهضة الحديثة فى مصر بتيسير القواعد العربية ، فكانت أولى المراحل هى التى قام بها فريق من خيرة أبناء دار العلوم ، وهم المرحوم حفنى بك ناصف وزملاؤه ، فى سلسلة كتب القواعد العربية التى وضعوها للمدارس ، وساروا فى تأليفها على نظام متدرج ، يساير مدارك المتعلمين ؛ وآخر كتاب فى هذه السلسلة حوى خلاصة القواعد العربية بأسلوب سهل قريب المتناول ، حسن التبويب والوضع والنظام ، خال مما فى بطون الكتب من فلسفة وعلل ، وقد سارت عليه المدارس حيناً ، وكان مرجعاً لمن يريدون التحصيل فى يسر وسهولة ، وبعد عن التعقيد ، وخلو من الافاضة التى ليس لها أثر عملى .

ثم والى أبناء دار العلوم من بعدهم حلقات الإصلاح وتابعوا الخطا فى

التيسير وشفعوا هذا بكتب وضعوها ، كانت عوناللتلاميذوخير مرشد للمدرسين، وهى شاهد بفضلهم ودليل على مابذلوا من جهود متواصله فى النهوض بالقواعد وتدريسها على أسلوب حديث .

***

وإنا نرى تتميما لحلقات التيسير التى قام بها إخواننا أن نخطو خطوة أخرى ، فانه من الحق ، ونحن بصدد تيسير السبيل للثقافة ، أن نفكر فى اللباب من كل شىء ، وأن نعنى بتذليل الصعاب فى طريق طلاب اللغة العربية الناشئين

وإنا لا نرمى بالملاحظات التى سنبديها أن نغض من قيمة القواعد العربية ، أو أن نلوى الجهود عن الاهتمام بها ، أو أن نسد السبيل أمام من يريدون التعمق فى البحث فيها ، والتوفر على درسها ، فما غايتنا إلا تذليل الصعاب أمام طلاب المدارس الابتدائية والثانوية ومن فى مستواهم

إن طلاب هذه المدارس إنما يدرسون اللغه العربية لغاية خاصة ، هى الثقافة العامة ، وهذه الغاية إنما تتحقق بالاهتمام بدراسة النصوص القريبة المنال ، وتفهم الأساليب العربية تفهما ينهض بلغة التلاميذ ، ويقوم ألسنتهم ، ويرقى بعباراتهم ، وينمى الذخر الأدبى واللغوى لديهم ، ويحبب إليهم دراسة الأدب العربى ، والاستفادة من كتبه القديمة والحديثة ، على قدر ما تصل إليه مقدرتهم

ولا شك أن الوصول إلى هذه الغاية يستدعى الاكتفاء من القواعد بالقدر الضرورى الذى له أثر فى اللغة الصحيحة ، أما التفصيل العميق فلا يتسع له الزمن الذى خصت به اللغة العربية فى المدارس التى أشرنا إليها ، ولا تقوى عليه عقول الناشئين ولا جهودهم ، التى يجب أن يكون لكل مادة من مواد المنهج نصيب منها

نقول إن قصدنا من التيسير الذى سنشير إليه إنما هو فائدة التلاميذ ، أما من يريدون التخصص والتوفر على دراسة القوعد العربية والتعمق فى تمحيص كتبها القديمة والحديثة كطلاب المعاهد العالية ، فهؤلاء لهم وجهة خاصة ، وميدان

الدرس والتحصيل أمامهم فسيح ، والزمن موفور ، ولهم أن يتعمقوا كما يشاءون ، فان الغاية التي يسعون إليها تستدعى ذلك التعمق .

فنحن أذن بصدد فريق خاص من المتعلمين ، نريد أن تيسر لهم سبيل تحصيل اللغة العربية وأدبها ، ولسنا فى هذا بعيدين عن الصواب ، فيما نعتقد ، فان لنا من التجارب الواسعه ما يساعدنا على النهوض بهذا العبء .
وإنا نسوق الدليل على ضرورة التيسير معتمدين على أصول التربية والتعليم ، وعلى اللغة العربية والغرض منها :

فأما أصول التربية فانها تقتضى أن نختار للمتعلم من المواد الدراسية ، ومن الحقائق ، مايفيده ويلائم عقله ، ويتصل بحياته ويحقق الغاية من أيسر السبل

وهذا يتطلب ألا نحشر فى المناهج ما لا يستسيغه ذوقه ، أو ما يثقل على عقله أو يحمله عناء ضئيل الثمار ؛ وما نشك فى أن طائفة كبيرة من الحقائق التى سطرت فى كتب القواعد النحوية لا يحتاج إليها المتعلم فى مدارسنا العامة ، لا فى حياته ولا فى ثقافته ، ولا فى تفهم اللغة وأدبها تفهما عميقا نافعا ، ولا فى دراستها دراسة مجدية محققة للانتفاع التام بها

فليس من الصواب إذن أن نسير سيرا تقليديا وأن نسطر فى المناهج حقائق على غير أساس سوى أنها قد سطرت فى الكتب وارتضاها المؤلفون قديما أو حديثا ، ويجدر بنا أن نعود إلى النهج الذى يتطلبه التعليم الصحيح ، وألا نتشبث بالتمسك بحقائق نعتقد فى قرارة يقيننا أنها غير ملائمة لعقول التلاميذ .

وأما الغرض من اللغة العربية فواضح ، وهو أنها أداة للتفاهم وعون على الثقافة ورمز للقومية ووسيلة لدرس الذخر الأدبى والانتفاع به ، وفى مقدمته الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة . واللغة ليست إعرابا أو بناء ، بل هى الثروة الأدبية من جيد القول ، وما الاعراب إلا وسيلة لمعرفة أسباب الضبط الصحيح للكلمات ، فحسبنا منه مايبلغ بنا هذه الغاية

وعلى هذه الأسس سننظر فى القواعد النحوية لنرى ما يتصل منها بالغاية التى من أجلها وضعت .

وإن اتخاذ هذا المبدأ أساسا للبحث ليصل بنا إلى وضع الأصول الآتية :

١ — تترك التعاريف النحوية بتاتاً ، فان الأمثلة التى تمر بالسمع وبالنظر وتنال العناية من الشرح والتفهم أجدى فى فهم القواعد فهما عمليا وفى تعرف وظيفة الكلمة فى الجملة وارتباط هذه بما لها من حكم إعرابى أو غير إعرابي وأدعى إلى محاكاة المتعلم لهذه التراكيب ، وإلى طبع لسانه على التعبير الصحيح . وهذه الطريقة ، طريقة عرض العبارات الصحيحة على المتعلمين ، هي الطريقة الطبيعية فى تعلم اللغات والالمام بخصائصها .

على أنا حين نلجأ إلى الأمثلة لتعرف القاعدة لا نبعد عن الأصول المنطقية فالتعريف بالمثال صحيح متداول فى الكتب القديمة والحديثة

٢ — يجتنب من الألفاظ الاصطلاحية ما لا داعى إليه ، ونوجه ذهن المتعلم إلى وظيفة الكلمة فى الجملة وما أفادته من معنى ، وإن بعض الألفاظ الاصطلاحية يمكن الاستغناء عنه بعبارات أقرب فهما وأيسر منالا للمتعلم مع الوفاء بالغرض الذى من أجله وضع الاصطلاح . وسنشير إلى ذلك فيما يلى :

٣ — إن الغرض من الاعراب هو ضبط أواخر الكلمات ، وبيان سبب هذا الضبط ، وحسبنا أن نعبر عن هذا بطريقة موجزة ، وليكن أساسه فهم وظيفة الكلمة فى التركيب .

٤ — لا داعى للتعرض لاعراب ما ليس لاعرابه أثر عملى فى فهم الجمل أو ضبط الكلمات ، كأدوات الشرط وصيغتى التعجب ونحو ذلك مما سنشير إليه بعد .

٥ — لا داعى للتعرض لعلامات بناء الماضى والأمر وأحوالها المختلفة فان

ضبط الآخر فيهما يكاد يكون طبيعيا فى جميع الأحوال ، وليس النص على ما بنى عليه الفعل إلا تعبيراً عن الأمر الواضح المحسوس

٦ — لا داعى للنص على بناء الحروف ، ما دام المتعلم قد عرفها بهذه الحالة الخاصة ، فهذا النص إنما هو من قبيل تقرير الواقع الذى لا يحتمل تغييرا .

٧ — القواعد القليلة الورود لا يبحث فيها إلا عند الضرورة ، على أن يكون ذلك بايجاز مثل عمل (لات) وحكم المفعول معه

٨ — تترك القواعد التى لا أثر لها فى ضبط الكلمات أو طرق اشتقاقها كشروط عمل اسمى الفاعل والمفعول ومواضع الابتداء بالنكرة ومجىء الحال معرفة أو من النكرة إلى غير ذلك .

***

وسنسير فى بحثنا على ضوء هذه الأصول ثم ننظر إلى ماسطر النحاة فى كتبهم قديماً وحديثاً :

إن القواعد النحوية التى دونت نوعان :

(الأول) نوع لاحاجة بنا إليه ، فليس له أثر لافى التعبير السليم ، ولا فى الضبط الصحيح ، وليس الاغضاء عنه مما يعوق التفاهم ، وليست دراسته ضرورية للغة العربية ، باعتبارها أداة علمية أو حيوية

(الثانى) نوع يرجع إلى ضبط الكلمات وصوغها وتطابقها وترتيبها فى الجمل . ونفصل كل هذا فيما يلى :

النوع الأول :

الموضوعات التى لاداعى للتعرض لها ولا ضير من إغفالها وهى المباحث الآتية :

١ — الكلام وتعريفه والتعرض للمفيد وغير المفيد من التراكيب .

٢ — تعريف الاسم والفعل والحرف تعريفا مطولا ، ويكفى أن تعرض

الأمثلة ، فيدرك المتعلم حقيقة المعرف من الأمثلة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك

٣ – ما يختص به كل منها من ميزات كالجر والتنوين والنداء ودخول أل «وتا فعلت وأتت ويا افعلى » ونون أقبلن . . . . ، إلى غير ذلك مما أفاضت الكتب فى تفصيله .

٤ – الميزان الصرفى : فانا لا نزن الكلمة إلا إذا عرفنا أصلها . ولقد جرت المعاجم على ضبط الكلمات بذكر أمثلة مشهورة تساعد على ذلك دون الالتجاء إلى الوزن بالفاء والعين واللام وبحروف الزيادة

٥ – أحرف الزيادة التى جمعت فى قولنا (سالتمونيها) فان معرفة أصل الكلمات وتفرع بعضها من بعض بالطريقة اللغوية يغنى عن هذا

٦ – تعريف أنواع الفعل . ويكفى أن تدرك من الأمثلة

٧ – علامات كل من الماضى والمضارع والأمر . فهذه العلامات لا أثر لها فى إدراك حقيقة الفعل أو نوعه ، وليست هى التى يعتمد عليها المتعلم فى هذا

٨ – أوزان المزيد والمجرد من الأفعال ، ويكفى أن تعرف الصيغ المختلفة للأفعال المزيدة بطريقة أساسها تنمية الكلمات حين شرحها فى دروس المطالعة ودروس المحفوظات وغيرها ، مع ذكر ما يتفرع منها من أنواع المزيد دون تعرض للوزن الصرفى

٩ – الجامد والمتصرف من الأفعال ؛ فهذا البحث توقيفى وسيعلم الطالب ما لا يتصرف وما يتصرف تصرفا تاما أو ناقصا فى ثنايا الأمثلة التى تساق فى درس القواعد والأدب والنصوص والمطالعة لتنمية الكلمات ولن يخطر ببال المتعلم أن يسأل عن مضارع ليس أو عسى مثلا

١٠ – الاصطلاحات الخاصة بأنواع الصحيح والمعتل مثل :

سالم – مهموز – مضعف – مثال – أجوف – ناقص – لفيف مقرون – لفيف مفروق

ويكفى أن نشير إلى أن المعتل هو ما اشتمل على حرف علة ، وأن هذا الحرف قد يكون فى الأول أو فى الوسط أو فى الآخر أو فى موضعين من الفعل. وهذا كاف فى إدراك الحقيقة المقصودة ، ويساعد على معرفة ما يترتب عليها من حذف أو تغيير فى بعض أحوال الإسناد أو التصرف . وسنرى أن هذه الأحوال إنما تدرس بالطريقة العملية ، حين التعرض لتنمية الكلمات تنمية لغوية فى أثناء شرحها .

١١ — التام والناقص :

تعالج الأفعال الناقصة من حيث معناها كما تعالج الكلمات الأخرى التى يحتاج المتعلم إلى معرفة معناها .

أما من حيث العمل الاعرابى فتعتبر الأفعال الناقصة (التى تعمل) كأنها قيود للجملة الاسمية كما سنشير إلى هذا بعد .

١٢ — ما تختص به كان . من حذفها وحدها أو مع اسمها أو مع خبرها أو معهما . وليترك هذا إلى القواعد العامة التى تجيزها اللغة ، وهى حذف ماهو معلوم فنشرح ما يرد من هذا .

١٣ — مواضع لزوم الفعل ومواضع التعدى . فان المتعلم سيدرك عوامل التعدى واللزوم فى خلال البحث عن تنمية الكلمات تنمية لغوية

١٤ — بناء الماضى وبناء المضارع .

أما بناء الماضى على الفتح أو على الضم فهو بناء طبيعى يجرى به اللسان فى حالاته بطريقة طبيعية كذلك ، بعد معرفة طائفة من الأمثلة التى تمر فى خلال المطالعة وغيرها .

وبناء الأمر كذلك . ونكتفى فى هذا الباب بالاشارة إلى بناء المضارع فى خلال تكوين الجمل تكويناً إنشائيا وتغيير الأفعال تبعاً لاسنادها للضمائر

١٥ — إعراب أدوات الشرط ، فليس لإعرابها كبير أثر . ويكفى أن

تعرف معانيها وما يدل منها على زمان أو مكان أو غير ذلك . وتعالج كما تعالج الكلمات الأخرى التى تتطلب شرح المعنى .

١٦ — أدوات الشرط غير الجازمة . فان فهم معانيها هو المقصود بالذات .

١٧ — الجامد والمشتق من الأسماء : نوعا الجامد ، اسم ذات واسم معنى .

لا داعى لهذا ويكفى أن تعرف التصرفات المختلفة لبعض الكلمات فى ثنايا التنمية اللغوية فى خلال شرح الكلمات وسيدرك المتعلم أن المشتقات إن هى إلا كلمات تنشأ من التنمية اللغوية .

١٨ — شروط عمل اسمى الفاعل والصفة المشبهة ؛ وحسب المتعلم أن يعلم من خلال فنون التعبير أن بعض الكلمات تشبه الأفعال وتجرى على نسقها فتعمل عملها أحيانا . . وأن عدم الالمام بهذه الشروط لا يفوت على المتعلم شيئاً مادامت التراكيب الصحيحة التى نسوقها شواهد لعمل المشتقات ستكون نموذجاً يحتذيه حين إنشاء جمل تشبهها .

١٩ — الصفة المشبهة .

تعتبر كلمة من الكلمات الجارية على الأفعال وتدل على صفة من الصفات .

٢٠ — الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة

٢١ — شروط مايصاغ منه اسم التفضيل :

لا داعى لسرد كل الشروط فبعضها لا يتجه إليه الذهن كصوغ اسم التفضيل من الفعل الناقص أو الجامد .

ولتعالج الحالات السائغة بطريقة عملية مقرونة بانشاء التراكيب .

٢٢ — المجرد والمزيد من الأسماء وأوزان ذلك :

يعالج هذا فى خلال التنمية اللغوية للكلمات على مثال ما أشرنا إليه فى المجرد والمزيد من الأفعال .

٢٣ — شروط المثنى وشروط الجمع :

لا داعى لسرد هذا ، فليس إغفال هذه الشروط مما يسبب خطأ ، اللهم إلا فى

حالة واحدة تتطلب أن يوجه إليها النظر بضرب أمثلة لها وهى جمع الصفات التى على وزن أفعل أو فعلاء .

٢٤ — ما يطرد فيه جمع المؤنث السالم . لاداعى لهذا .

٢٥ — المؤنث الحقيقى والمجازى واللفظى والمعنوى :

التأنيث والتذكير يدركان بمعرفة مدلول الكلمة ، فليترك هذا للمتعلم يصل إليه بفطنته . وهناك طائفة من الألفاظ التى تتطلب الرجوع إلى اللغة لمعرفة وجوب تذكيرها أو تأنيثها ، وهذه يدرسها المتعلم على أنها جانب من اللغة .

٢٦ — النكرة والمعرفة :

من البديهيات أن يدرك المتعلم ما يدل على معين وما لا يدل من الكلمات ، إذا عرف مدلولها . فلا داعى لتعريف النكرة والمعرفة ولا لتقسيم المعرفة إلى أقسامها السبعة المعروفة .

٢٧ — أنواع المعارف :

(ا) لاداعى للتعرض للمعرف « بأل » ولا للمعرف بالاضافة ولا للمعرف بالنداء . فادراك أنها معارف لا يحتاج إلا إلى فهم المعنى .

(ب) الضمير :

لا داعى للتفصيل فى أنواع الضمير : البارز والمستتر جوازاً أو وجوباً والمتصل والمنفصل وما يختص بالرفع أو بغيره وما يشترك بين الرفع والنصب أو بين النصب والجر ؛ فليس لكل هذا أثر لا فى ضبط الأواخر ولا فى فهم المعنى .

ويكتفى بمعرفة التغيرات التى تعترى الضمائر فى احوال الاسناد المختلفة فى الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث حين التعرض للأمثلة العملية كما سنشير إلى ذلك .

(ج) العلم :

يكتفى بفهم معنى الاصطلاحات الثلاثة : الاسم والكنية واللقب . ولا

داعى للتعرض لتقسيم العلم إلى مفرد ومركب إضافى وإسنادى ومزجى ، ولا لحكمها من حيث الترتيب بينها . ولا داعى أيضاً لعلم الشخص وعلم الجنس .

(ى) جملة الصلة وشروطها :

إن الاخلال بشروط الصلة وبما يجب أن تحويه من عائد ، وبحالات حذف العائد ، كل هذا يفهم إذا كان للطالب إلمام بنظم الكلام وتذوق وجوه التعبير فلا داعى إليه .

٢٨ — المبنى من الاسماء :

هذا البناء طبيعى أو شبيه بذلك ، فلا داعى للتعرض له ولا للنص على نوع البناء فليس كل هذا مجالا لخطأ .

٢٩ — شروط الظرف والمصدر إذا نابا عن الفاعل : لا داعى لهذا فالالمام بأساليب اللغة كفيل بالوقاية من الخطأ فيه .

٣٠ — الابتداء بالنكرة :

لا داعى للبحث فى هذا ، فالشروط التى سردها النحاة تنتهى بأن أساس الابتداء بالنكرة يرجع إلى الافادة ، وهذا من البديهيات التى لا تحتاج إلى بحث أو قواعد .

٣١ — شروط معمولى (لات) :

استعمال « لات » إنما هو تركيب خاص قليل الورود وله صيغة خاصة . ويكفى النص عليها فتتضح الشروط المطلوبة .

٣٢ — لام الابتداء : إن هى إلا حرف يزاد فى بعض التراكيب شأن الحروف الاخرى التى تزاد ولاداعى لاسم خاص بها ولا لسرد مواضعها

٣٣ — أحوال المفعول لأجله من حيث النصب والجر وقلة ذلك أو كثرته :

لاداعى لهذا ويكفى البحث فى حالة نصبه فقط

٣٤ — شروط نصبه . لاداعى للتعرض لها فلا طائل تحتها .

٣٥ ـ المفعول معه وتعين نصبه أو تعين العطف أو جواز الأمرين: لاداعى لهذا فالموضوع من أساسه قليل الورود ، وهذه الافاضة فى الشرح لا توازى مايجنى من فائدة عملية

٣٦ ـ عامل الحال : لاداعى لهذا

٣٧ ـ صاحب الحال : يفهم دون حاجة إلى التعرض للبحث . فصاحب الحال هو الموصوف فى المعنى

٣٨ ـ مواضع وقوع الحال معرفة أو جامدة : لاداعى لهذا فليس له أثر أعرابى أو معنوى

٣٩ ـ نداء مافيه ال : لاداعى لهذا

٤٠ ـ صيغ الاستغاثة والندبة :

تشرح على أنها تراكيب خاصة يقصد بها تأدية معان معينة ولاداعى لاعرابها

٤١ ـ الاعلال والابدال : لا داعى للإسراف فيه ولا لاستقصاء شروط قلب حروف العلة ويكفى أن نوجه الذهن إلى قلب بعض الحروف فى خلال التنمية اللغوية وتصرف الكلمات

٤٢ ـ الاغراء والتحذير : تشرح الصيغ من جهه معانيها ولاداعى لاعرابها

٤٣ ـ الاختصاص : يعتبر صيغة خاصة كالاغراء والتحذير

٤٤ ـ الاشتغال : يستغنى عن التفصيل في أحواله المختلفة . ويعرب المنصوب مفعولا به دون تعرض للفعل الذى نصبه . وحالة الرفع لاتحتاج إلى نص خاص

٤٥ ـ متعلق الجار والمجرور والظرف وحذفه الخ لاداعى لهذا فلا طائل تحته ، والمعنى كفيل بالايضاح المنشود

٤٦ ـ أحوال المضاف لياء المتكلم وأحوال المنادى المضاف لياء المتكلم : لاداعى لهذا .

٤٧ — إعراب صيغتى التعجب وشروطهما الخ : لا داعى لهذا وتكفى الاشارة إلى أنها صيغ خاصة ، مع شرح المراد منها .

* * *

هذه طائفة من الحقائق التى لا نرى ضررا فى إغفالها ولا كبير فائده يجنبها المتعلم منها من حيث اللغة أو من حيث الفهم أو من حيث ضبط أواخر الكلمات .

فاثقال ذهنه بها يستنفد من الزمن والجهد ما يجدر بنا أن ندخره لتفهم أساليب اللغة وفنون البلاغة ودراسة الجيد من المأثور .

النوع الثانى :

وهو أقسام :

(ا) قواعد إعرابية لضبط أواخر الكلمات أو شبه الاواخر ،

(ب) قواعد لغوية لتنمية الكلمات وصوغها صوغا صرفيا

(ح) قواعد تتعلق بالتغيير التطابقى الاتباعى فى التذكير والتأنيث والافرد والتثنية والجمع

(ء) قواعد تتعلق بتركيب الجمل و ترتيب كلماتها . ولنشر إلى كل قسم منها .

القسم الأول

الموضوعات الاعرابية :

وللتغيير الاعرابى سببان :

(أولهما) أدوات تعمل عملا خاصا . ومنها ما يدخل على المفردات . وهذه هى النواصب والجوازم وحروف الجر . ومنها ما يدخل على الجمل الاسمية فيغير الأثر الاعرابىَ لأحد جزأيها وهى النواسخ

(وثانيهما) وظيفة الكلمة فى الجملة . وينطبق هذا على الموضوعات الآتية :

المبتدأ — الخبر — الفاعل — نائب الفاعل — المفعول — الحال —

التميز ــ المستثنى ــ المنادى ــ (المضاف إليه) ــ العطف وحروفه ــ التوكيد المعنوى ــ البدل ــ عطف البيان ــ تابع المنادى

وهذا القسم الاعرابى هو الذى نعتبره مرتبطاً بالغايةمن النحو. وهوخلاصة سهلة التحصيل هينة الادراك. وإليك بيان ذلك:

١ ــ فالأدوات العاملة التى تدخل على المفردات محصورة، وهى متفاوتة فى كثرة دورانها. فاذا اتجهت العناية فى الدرس إلى كثير الدوران منها كان ذلك تيسيراً وتذليلا للموضوع.

ومما يرتبط بتيسير البحث ألا نتعرض للتفصيل فى ناصب الفعل بعد حتى ولام التعليل ولام الجحود وأو والفاء والواو. ونكتفى بأن نقول إن الفعل منصوب بعد حتى مثلا أو بعد الفاء دون تعرض لأن الناصب «أن» المحذوفة ولا لجواز الحذف أو وجوبه.

ويجدر بنا أيضاً أن نفكر فى تعبير آخر بدل كلمة «الجحود» فى لام الجحود فالمبتدىء لايستسيغ هذه الكلمة، وليس هناك ضيرأو نقص فى أن نقول «اللام التى تقع بعد كان المنفية فتوكد نفيها».

٢ ــ والأدوات التى تدخل على الجمل الاسمية وهى النواسخ تدرس مع الجمل الاسمية، ويشار إلى أنها قيود لها فتعالج من الوجهة المعنوية، ثم يشارإلى ما تحدث من تغيير فى أحد جزأى الجملة. فنقول فى «أن» مثلا إنها نصبت الجزء الأول من الجملة وأن الثانى باق على حاله، ونقول فى «كان» إنها غيرت الثانى والأول باق على حاله، ولا داعى للنص على أن الجزء الأول المرفوع تغير وصار اسما لكان، ولا أن الجزء الثانى المرفوع تغير وصار خبراً لأن، ولا ضرر فى أن نقول فى إعراب «كان الجو صحواً» الجو مبتدأ وصحواً خبر وقد نصب بكان. وفى إعراب «إن النيل حياة مصر» نقول «النيل» مبتدأ منصوب بأن و«حياة» خبر.

٣ — والاعراب المرتبط بوظيفة الكلمة يرجع إلى الموضوعات التى أشرنا إليها .

ومما يجعل هذا القسم سهل المنال أنه مبنى على فهم معنى الجملة وما تؤديه كل كلمة من الفائده . فلنجعل أساس الطريقة فى دراسة هذه الموضوعات تكوين الجمل تكويناً متدرجاً ، فنبدأ بالجملة السهلة ونضيف إليها من الكلمات ما يؤدى معانى خاصة يقصدها المتكلم وتتطلبها الابانة . وبعد التمحيص وفهم وظيفة الكلمات فهما تاما نذكر الألفاظ الاصطلاحية لربط الحقيقة فى الأذهان . ولا يتطلب البحث إلا الاصطلاحات الآتية وهى :

مبتدأ — خبر — فاعل — نائب فاعل — حال — تمييز — مستثنى — صفة — عطف — توكيد — ظرف — منادى .

وهناك اصطلاحات نرى أن تعالج ببعض التصرف وهى :

١ — البدل : المطابق — الاشتمال — بدل البعض من الكل — وهذه كلمات توضح سابقاتها أو تحدد المراد منها . ونستطيع أن نسميها (كلمات موضحة لما قبلها) فلها حكم ما قبلها .

٢ — البدل المباين : لا داعى إليه

٣ — عطف البيان : يستغنى عنه فهو — على بعض الآراء — من البدل المطابق ، على أنه فى حقيقته إيضاح لما قبله فيسمى بما سمى به البدل

٤ — المفعول المطلق : يعبر عنه بأنه كلمة متممة للفعل

٥ — المفعول لأجله : كلمة تبين السبب ، وهى متممة للفعل كسابقه .

٦ — المفعول معه : أمثلته قليله لا تستدعى اصطلاحاً خاصاً . ويكفى أن نعبر بتعبير عام يدل على المعنى المقصود وهو « كلمة تدل على المصاحبة » .

٧ — المفعول به . ويكفى أن يسمى مفعولا ويكون هو المفعول الذى يختص بالكلمة دون سائر المفاعيل التى نستغنى عن وضع أسماء اصطلاحية لبعضها

٨ – المضاف إليه : كثيراً ما يضل المتعلم ويخلط لعدم فهمه مرجع الضمير في « إليه » فيخطىء ويسمى المضاف إليه مضافاً ظانا أن المعنى أنه مضاف إلى ما قبله . وللابتعاد عن هذا الزلل يقال أن الكلمة الثانيه متممة للاسم السابق .

٩ – تابع المنادى : يترك ونجرى عليه أحكام التابع العادى .

وبعد فهذه طائفة من التغييرات لا تمس الجوهر ولا تؤثر فى القواعد النحوية وهى أقرب فهما وأوضح تعبيراً

* * *

بهذه الملاحظات نستطيع أن نجعل التعبير عن سبب الضبط أو بعبارة أخرى سبب الاعراب تعبيرا طبيعيا نابعا من المعنى . ونعتقد أن هذا أيسر وأقرب إلى جعل المتعلم يدرك أن الاعراب إن هو إلا حكم اقتضته وظيفة الكلمة وما تؤديه من معنى فى الجملة

وإذا أضفنا إلى هذا ما قلناه وهو أن الطريقة التى تعالج بها هذه المباحث سيكون أساسها صوغ الجمل وتفريعها تفريعا معنويا كان الاعراب تعبيرا عما يدركه المتعلم من معانى الكلمات ووظيفتها فى التراكيب . ويتحول البحث إلى بحث فى معانى الجمل والكلمات ووظائفها

ونرى أن هذا يذلل ما يتوجس منه المتعلمون من خوف حين يطلب إليهم إعراب كلمات فى جمل يفهمونها حق الفهم فتعمى عليهم وجوه التعبير ويظنون أنهم حين يطالبون بالاعراب قد انتقلوا إلى دائرة من التفكير تحيط به المعميات .

واتباع هذه الطريقة يجعل الأساس معنويا إنشائيا ويغنينا عن الدوران حول موضوعات القواعد دورانا نحويا ، ويمكننا من أن نجعل دروس القواعد تنبع من شيئين . (أولهما) تكوين الجمل تكوينا إنشائيا متدرجا على أساس المعانى والحقائق الطريفة . وهذا أجدى من ذلك التطبيق التكوينى الذى يجرى على أسس نحوية صماء لا تتصل بالمعنى الطريف ولا بالتفكير فيما هو شائق للمتعلم . (وثانيهما)

قطع متنوعة الأغراض يدرسها المتعلم كما يدرس موضوعات المطالعة ثم يوجه ذهنه إلى صوغ جملها ووظائف كلماتها ويقرن ذلك ببيان سبب ضبط أواخرها فى إجمال ووضوح .

وإذا ضممنا إلى ذلك أن القسم الثانى من مباحث القواعد (وهو ما سنشير إليه بعد) هو بحث يعالج بتكوين الجمل والافتنان فى صوغها كان ذلك من عوامل التيسير الذى له شأن فى دراسة هذه المادة

القسم الثانى

مباحث تتعلق بالتغيير للتطابق فى الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ،

والتطابق يجىء بين المبتدأ والخبر ، والصفة والموصوف ، والحال وصاحبها ، ويتصل بهذا مباحث أسماء الاشارة والأسماء الموصولة والضمائر فى أحوالها المختلفة فلها بالتطابق وأنواعه صلة .

وتدرس هذه المجموعة من الحقائق عن طريق الأمثلة التى تعرض أمام المتعلم . وهذه الطريقة أجدى وأقرب إلى تحقيق الغرض.وإن المتعلم فى المراحل الأولى من تعلمه ليدرك من معلوماته اللغوية التى يكتسبها من المخاطبة ومما يسمع ما تتطلبه أحوال التثنية والجمع والتذكير والتأنيث من تغيير تطابق .

ويبدأ فى علاج هذا بالجملة الاسمية فى حالة الأفراد ، ثم نتدرج فى صوغ الجمل وإطالتها ونجعل الخبر اسما (جامداً أو مشتقاً) تارة وفعلا ماضياً أو مضارعا تارة أخرى وظرفا أو جاراً ومجروراً فيجىء فى ثنايا هذه الجمل ما يعترى الأفعال الصحيحة والمعتلة من تغيير عند اتصالها بالضمائر . وإن الاكثار من الأمثلة هو الذى يثبت القاعدة فى الأذهان تثبيتاً عملياً فتصبح طبيعية بديهية الادراك ، ولا يحتاج المتعلم إلى استظهار قواعد الإسناد المختلفة استظهاراً لفظياً قليل الجدوى .

ومما يقرب أحوال التطابق إلى الاستعمال ، حقيقة لا نرى بأسا من الاشارة

إليها وهى أن الضمائر وأسماء الاشارة والأسماء الموصولة يمكن أن تعتبر « نائبة عن الأسماء » . ولعل هذه التسمية أقرب إلى ذهن المتعلم ولا سيما فى حالة الاسم الموصول .

ويلاحظ أيضا أن جملة الصلة هى فى الحقيقة وصف للموصول ، فهل لنا أن نقبل هذا فنعتبر جملة الصلة صفة للموصول ؟ إن هذا مما يسهل إساغة هذه الحقيقة ويجعل أسباب التغيير التطابقى واضحة .

ومما يجدر بنا الاشارة إليه أيضا بصدد الاصطلاحات النحوية موضوع النعت السببى . وإنا نلمح فى هذه التسمية بعداً عن عقل المتعلم وأولى بنا أن نلجأ إلى تعبير آخر أوضح وأقرب وهو وصف الشىء بصفة ما يرتبط به ، وبعد أن يفهم المتعلم الحقيقة نرجع إلى اختصار التعبير فنسمى هذا النوع « وصفا » مثل النوع الثانى الحقيقى

هذا . ومما يتمم القسم الاعرابى الذى نحن بصدده أن نشير إلى موضوعات ثلاثة وهى :

١ ــ علامات الاعراب الفرعية

٢ ــ الاعراب التقديرى

٣ ــ الاعراب المحلى .

١ ــ أما علامات الاعراب الفرعية فهى الألف والواو والياء ثم حذف النون أو إثباتها وحذف حرف العلة فى الفعل ثم الكسرة فى نصب جمع المؤنث والفتح فى جر ما لا ينصرف

على أننا لا نريد بهذا إلا أن نقرب الموضوع للاذهان فى الأحوال التى تحتمل أسبابا مقبولة ، أما العلامات التى لا نجد لها سببا عقليا أو لا نجد من اليسير إيضاح ما عسى أن يكون لها من أسباب خفية فلا يسعنا إلا أن نلقنها

للمتعلم تلقينا وليس فى هـــذا معضلات تعترض المتعلم أو تثير شبهات فالخطب يسير .

٢ – وأما الاعراب التقديرى فمن وسائل تيسيره ألا نتعرض لتقدير الحركة للثقل أو للتعذر . وحسبنا أن نقول إن الحركات لا تظهر على الألف ولا على ما قبل ياء المتكلم ، وهذا طبيعى لا يحتاج إلى إيضاح وإن الضمة والكسرة لا تظهران على الواو والياء

٣ – وأما الاعراب المحلى فيجىء فى المبنيات وفى الجمل ، أما المبنيات فحسبنا أن تعرف أنها لا تتغير ويكفى فى إعرابها أن نذكر وظيفة الكلمة ونقول أنها لا تتغير . وأما الجمل فلا داعى للتعرض لمحلها الاعرابى فلا طائل تحت هذا

القسم الثالث

قواعد لصوغ الكلمات صوغاً صرفياً وتفرع بعضها من بعض

وهذا البحث أقرب إلى البحوث اللغوية فهو يتضمن تنمية الأفعال وتصرف بعضها من بعض ، واسمى الفاعل والمفعول وصيغ المصادر .

ويمكن أن نعبر عن هذه الثلاثة الأخيرة بأنها أسماء متصلة بالأفعال . ويستغنى بذلك عن أسمائها الاصطلاحية ، ويشرح كل هذا فى ثنايا تفسير الكلمات الكثيرة الاستعمال مع التعرض لتنميتها تنمية لغوية .

وإن الاشارة إلى أن اسمى الفاعل والمفعول والمصـــدر هى أسماء متصلة بالأفعال يفسر السبب فى أنها أحياناً تعمل عمل الفعل .

فليكن طريقنا فى هذا القسم طريقا لغوياً إنشائياً نشرح فيه الكلمات ونذكر ما يتصل بها اتصال اشتقاق ونسرد من طريف التراكيب ومستساغ الجمل ما يجعل البحث نافعاً مع الرجوع إلى المعاجم ومعالجة كل هذا تجىء فى ثنايا دروس المطالعة والمحفوظات والنصوص الأدبية .

القسم الرابع

قواعد تتعلق بتركيب الجمل وترتيب كلماتها :

ويندرج تحت هذا :

تقديم الخبر وتأخيره وجوباً وجوازاً — حذف المبتدأ أو الخبر وجوباً وجوازاً — تقدم خبر كان عليها أو على اسمها — زيادة التاء فى خبر ليس وما — تقدم خبر إن وأخواتها على اسمها — تقديم المفعول به على الفاعل وتأخيره عنه — حكم الفعل إذا نصب ضميرين من حيث الاتصال والانفصال — وقوع الحال والخبر والصفة جملة أو شبه جملة .

فهذه الموضوعات ليس لها أثر فى ضبط أواخر الكلمات . وليس لاغفالها من القواعد النحوية أثر فى المعنى أو فى ضبط الكلمات .

بقى من مباحث القواعد موضوعان : وهما التصغير والنسب ، وقد أجهدا المتعلمين وشغلا أذهان المعلمين ، وكان لهما فى التمرينات المدرسية والامتحانات نصيب محفوف بالكد ، ولم يترك واضعو التمرينات وسيلة من وسائل تصيد الأمثلة إلا سلكوها ولم يدعوا كلمة إلا أصابوها بمعاول التصغير والنسب وأرغموها على الاذعان لقواعدهما وإن أبى الاستعمال العربى أو كره الذوق الأدبى .

وليت البحث له من الفائدة ما يستدعى كل هذا العناء ، فان الخطب يسير والكلمات التى وردت فى اللغة العربية مصغرة معدودة ولا تحتاج فى معرفتها إلا إلى نظرة سريعة ، والحال كذلك فى النسب .

ونرى أن أمثل الطرق لدراسة هذين الموضوعين دراسة ناجعة سهلة ، ومعرفة قواعدهما معرفة عملية أن نتخير طائفة من الكلمات المستعملة فعلا مصغرة أو منسوباً إليها أو التى يسيغ الذوق الأدبى استعمالها كذلك ، ثم نسطرها فى هاتين

الحالتين فى جدول يعرض على المتعلم للرجوع إليه وتفهم ما احتواه ، ونجعل الأمثلة المتشابهة متعاقبة ليرى المتعلم ما تشترك فيه من تغيير أو خصائص تمتاز بها ، ونستغنى بهذا عن سرد قواعد النسب والتصغير . ونعتقد أن هذه الطريقة مجدية محققة للغرض المنشود

وبعد فهذا رأينا فى دراسة القواعد النحوية وتيسير طريقها وهو يكفل تحقيق الغاية ويذلل ما يعترض المتعلمين من صعاب ، وقد أشرنا فى خلال البحث إلى مجمل الطريقة التى تتبع وأساس التدرج فى تكوين الجمل تكويناً إنشائياً يمتزج بإيضاح ما للكلمات من أثر معنوى دون إسراف فى سرد الاصطلاحات أو مبالغة فى شرح مالا يرتبط بالغاية من اللغة وبالانتفاع بها فى التفاهم اللسانى والكتابى .

ويقيننا أن ما اقترحناه هو خطوة محمودة الغاية إن شاء الله .

بمناسبة الذكرى السنوية

أمير الشعراء

أحمد شوقى بك

للأستاذ على النجدى ناصف
مفتش المعارف بالاسكندرية

كان شوقى (رحمه الله) أمير الشعر العربى لعصره، غير مدافع ولا منازع. وكان معاصروه من أساطين الشعر وأصحاب نهضته يدعونه بهذا اللقب، ويقرون باستحقاقه له، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه.

ولم يتقلد شوقى إمارة الشعر عفوا، أو بدعوة نشرها أو نشرت له، فما كان بحاجة إلى شىء من ذلك، ولكنه تقلدها، لأنه كان أحق بها وأهلها؛ فقد اجتمع له من الأسباب والمزايا ما يندر أن يجتمع لأحد من أهل صناعته. كان (رحمه الله) صحيح الذوق، رقيق الطبع، دقيق الحس، يقظ الملاحظة، بارع التصوير، متدفق الشاعرية، موفور الحظ من الثقافتين اللغوية والفكرية. وكان معتداً بعربيته: لا يسلمها ولا يخذلها، ولا يفرط فى الحفاظ على سمتها، بدعوى التجديد أو الاقتباس من الآداب الأجنبية، على كثرة مبتكراته، وتأثر شعره بثقافته الغربية. ترى ظواهر ذلك كله بينة فى أشعاره لا يعييك طلبها، ولا يخفى عليك مكانها، لأنها إنما كانت صفات ملازمة، لا تكلف فيها ولا صناعة. وستمر بك أمثلة لها فى الشواهد الآتية. لذلك كان شعره قريباً إلى كل نفس، وسائغاً فى جميع الأذواق.

ثم يسر الله له أسباب الاتصال بالبيت المحمدى العلوى الرفيع، فنشىء فى كنفه تنشئة ناعمة لينة لم يمسسها ضنك، ولم تشبها شائبة من حرمان أو حاجة، وانقطع

الشاعر ردحاً طويلا ، يتغنى بمآثر البيت الكريم ويشيد بفضل مؤسسيه ورافعى قواعده .

ومن ذلك قوله من قصيدة محمد على الكبير :

يا مديم الرقاد فى خير مرقد	قم ، فما حل قبلك الأرض فرقد
وانظر الشرق كيف أصبح يهوى	وانظر الغرب كيف أصبح يصعد
وتأمل ممالكا وبلادا	لمس الدهر عقدها فتبدد
كنت تحميه والسيوف عوار	من له اليوم بالحسام المجرد
ينشر النور والحضارة فيه	كلما زود الشعوب تزود
وترى الأمر بين قلب ذكى	فى يديه وبين جفن مسهد

وقوله من قصيدة الخديو إسماعيل :

إن ماء أجرت يداك لنرجو	أن سيحيي البلاد من حيث أردى
ولو انا صنا وصنت لعشنا الد	هر فى العز والسيادة رغـدا
نهضت مصر بالزمان نزيلا	وبأهليـه يوم ذلك وفـدا
خطروا بين زاخرَين ولاقوا	ثالثاً من نداك أحلى وأندى
بين فلك يجرى وآخر راس	ولواء يحدو وآخر يحدى
وملوك صيـد يراح بهـم فى	واسع الريف والصعيد ويغدى
وقناطير يجفل الحصر عنها	كل يوم تعدها مصر عدا
ليت شعرى هل ضمن فى الماء أم هل	
يضمر المـاء للودائـع ردا	
لَيُعيدنَّها إلينا بوقت	زمنٌ طالما أعاد وأبدى

وملكت السودان فى الطول والعر ض وفى شأنه المعظم عبدا
نلت بالمال والدما منه أرضاً بجبال الياقوت والدر تفدى

وقوله من قصيدة السلطان حسين كامل :

أنتم بنو المجد المؤثل والندى لكم السيادة صبية وكهولا
النيل إن أحصى لكم حسناتكم ملأ الزمان محاسناً والجيلا
أحيا أبوكم شاطئيه وابتنى مجداً لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بيانهم وحمى إلى البيت الحرام سبيلا
حفظ الاله على الكنانة عرشها وأدام منكم للهلال كفيلا

وقوله من قصيدة الاحتفال لتكريمه :

ظللتنى عناية من فؤاد ظلل الله عرشه بأمانه
ورعانى رعى الإله له الفارو قُ طفلا ويومَ مَرْجُوٌّ شانه
ملك النيل من مصبيه بالشـــط إلى منبعيه من سودانه
هو فى الملك بدره المتجلى حف بالهالتين من (برلمانه)

وكان خلال ذلك لا ينى عن تمجيد الخلافة ، وامتداح الترك ، والاعجاب بأبطالهم وترصد الحوادث الجارية بهم فى السياسة والحرب ؛ ليقول فيها قولة العاطفة والشعر ، إلى جانب قولة السياسة والحرب ، فاذا هو يقول قولة الاسلام والمسلمين فى المشارق والمغارب فخارا بالظفروالنصر ، وأسفاً ورثاء حين الاخفاق والهزيمة .

قال من قصيدة صدى الحرب :

بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب وينصر دين الله أيان تضرب
وما السيف إلا آية الملك فى الورى ولا الأمر إلا للذى يتغلب

فأدب به القوم الطغاة ، فانه   لنعم المربى للطغاة المؤدب
وداو به الدولات من كل دائها   فنعم الحسام الطب والمتطبب
تنام خطوب الملك إن بات ساهراً   وإن هو نام استيقظت تتألب
أمنا الليالى أن نراع بحادث   وأرمينيا ثكلى ، وحوران أشيب
ومملكة اليونان محلولة العرى   رجاؤك يعطيها ، وخوفك يسلب
هددت أمير المؤمنين كيانها   بأسطع مثل الصبح لا يتكذب
وما زال فجراً سيف عثمان صادقا   يساريه من عالى ذكائك كوكب
إذا ما صدعت الحادثات بحده   تكشف داجى الخطب وانجاب غيهب

وقال من قصيدة الدستور العثمانى :

بشرى البرية قاصيها ودانيها :   حاط الخلافة بالدستور حاميها
لما رآها بلا ركن تداركها   بعد الخليفة بالشورى وناديها
وبالأبيين من قوم أماتهمو   بعد الديار ، وأحياهم تدانيها
حنوا إليها كما حنت لهم زمنا   وأوشك البين يبليهم ويبليها

إلى أن قال :

يا شعب عثمان من ترك ومن عرب   حياك من يبعث الموتى ويحييها
صبرت للحق حين النفس جازعة   والله بالصبر عند الحق موصيها
نلت الذى لم ينله بالقنا أحد   فاهتف (لأنورها) واحمد (نيازيها)

وقال من قصيدة الانقلاب العثمانى :

عبد الحميد حساب مثـ   لك فى يد الملك الغفور
سدت الثلاثين الطوا   ل ، ولسن بالحكم القصير

تنهى وتأمر ما بدا لك ، فى الكبير وفى الصغير
لا تستشير وفى الحمى عدد الكواكب من مشير
كم سبحوا لك فى الروا ح ، وألهوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجداً كسجود موسى فى الحضور
خفضوا الرءوس ووتروا بالذل أقواس الظهور
ماذا دهاك من الأمو ر ، وكنت داهية الأمور
أين الروية والأنا ة وحكمة الشيخ الخبير
إن القضاء إذا رمى دك القواعد من ثبير
دخلوا السرير عليك يحـ تكمون فى رب السرير
أعظم بهم من آسريـ ن ، وبالخليفة من أسير
أسد هصور أنشب الـ أظفار فى أسد هصور
قالوا : اعتزل . قلت : اعتزا ت ، الحكم لله القدير

وقال من قصيدة الأندلس الجديدة :

يا أخت أندلس ، عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام
نزل الهلال عن السماء فليتها طويت ، وعم العالمين ظلام
أزرى به وأزاله عن أوجه قدر يحط البدر وهو تمام

إلى أن قال :

صبرا أدرنة ، كل ملك زائل يوما ، ويبقى المالك العلام
خفت الأذان ، فما عليك موحد يسعي ، ولا الجمع الحسان تقام
وخبت مساجد كن نورا جامعاً تمشى إليه الأسد والآرام
يدرجن فى حرم الصلاة قوانتاً بيض الازار كأنهن حمام

وعفت قبور الفاتحين ، وفض عن حفر الخلائف جندل ورجام
نبشت على قعساء عزتها كما نبشت على استعلائها الأهرام
فى ذمة التاريخ خمسة أشهر طالت عليك ، فكل يوم عام
السيف عارٍ ، والوباء مسلط والسيل خوف ، والثلوج ركام
والجوع فتاك ، وفيك صحابة لو لم يجوعوا في الجهاد لصاموا
ضنوا بعرضك أن يباع ويشترى عرض الحرائر ليس فيه سوام
ضاق الحصار كأنما حلقاته فلك ، ومقذوفاتها أجرام
ورمى العدى ، ورميتهم بجهنم مما يصب الله لا الأقوام
بمت العدو بكل شبر مهجة وكذا يباع الملك حين يرام
ما زال بينك فى الحصار وبينه شم الحصون ومثلهن عظام
حتى حواك مقابراً وحويته جثثاً ، فلا غبن ولا استذمام

وقال من قصيدة انتصار الأتراك فى الحرب السياسية .

الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب ياخالد الترك جدد خالد العرب
صلح عزيز على حرب مظفرة فالسيف فى غمده ، والحق فى النصب
ياحسن أمنية فى السيف ما كذبت وطيب أمنية فى الرأى لم تخب
خطاك فى الحق كانت كلها كرما وأنت أكرم فى حقن الدم السرب
حذوت حرب الصلاحيين فى زمن فيه القتال بلا شرع ولا أدب
لم يأت سيفك فحشاء ، ولا هتكت قناك من حرمة الرهبان والصلب
سئلت سلماً على نصر ، فجدت بها ولو سئلت بغير النصر لم تجب

ثم قال :

أتاهم منك فى لوزان داهية جاءت به الحرب من حياتها الرقب
أصم يسمع سر الكائدين له ولا يضيق بجهر المحنق الصخب

لم تفترق شهوات القوم فى أرب إلا قضى وطراً من ذلك الأرب

وقال من قصيدة خلافة الاسلام :

عادت أغاني العرس رجع نواح ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه ودفنت عند تبلج الاصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك فى كل ناحية ، وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن ومنابر وبكت عليك ممالك ونواح

ثم قال :

أدوا إلى الغازى النصيحة ينتصح إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه كيف احتيالك فى صريع الراح
نقل الشرائع والعقائد والقرى والناس نقل كتائب فى الساح
تركته كالشبح المؤله أمة لم تسل بعد عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهم حتى تناول كل غير مباح
غرته طاعات الجموع ودولة وجد السواد لها هوى المرتاح
وإذا أخذت المجد من أمية لم تعط غير سرابه اللماح

وقد عاد إلى هذا الموضوع فى قصيدة أخرى ، فقال :

مجد الأمور زواله فى زلة لا ترج لاسمك بالأمور خلودا
الفرد بالشورى ، وباسم نديها لفظ الخليفة فى الظلام شريدا
خلعته دون المسلمين عصابة لم يجعلوا للمسلمين وجودا
يقضون ذلك عن سواد غافل خلق السواد مضللا ومسودا
جعلوا مشيئته الغبية سلما نحو الأمور لمن أراد صعودا
إنى نظرت إلى الشعوب فلم أجد كالجهل داء للشعوب مبيدا
الجهل لا يلد الحياة مواته إلا كما تلد الرمام الدودا

لم يخل من صور الحياة وإنما أخطاه عنصرها فمات وليدا
وإذا سبى الفرد المسلط مجلسا ألفيت أحرار الرجال عبيدا
ورأيت فى صدر الندى منوما فى عصبة يتحركون رقودا

ولم ينس شوقى مع ذلك أن يؤدى حق الجيرة الأكرمين ، من أبناء عمومة المصريين وأوثقهم اتصالا بهم ، منذ نهضوا نهضتهم ، وهبوا يذودون عن حمى بلادهم فكان يعطف عليهم ، ويشد من عزائمهم فى الجلاد ، كلما حزب أمر أو نابت نائبة أو هاجت ذكرى . وكان يزورهم ، ويتغنى بمحاسن بلادهم ، ويدعو إلى الاستمتاع بما حبتها الطبيعة من روعة وجمال ، حين يطيب العهد ، وتهدأ الثائرة .

بل إنه لم ينس أن يجعل لليابان ، أقصى بلاد الشرق الأقصى - نصيبا من شعره ، حين كربها الزلزال المروع ، ورج أطرافها رجاً عنيفا ، فنالها من أرزائه وفواجعه الهائلة ما نالها .

قال من قصيدة نكبة بيروت :

بيروت ، مات الأسد حتف أنوفهم لم يشهروا سيفا ، ولم يحموك
سبعون ليثا أحرقوا ، أو أغرقوا يا ليتهم قتلوا على طبروك
كل يصيد الليث وهو مقيد ويعز صيد الضيغم المفكوك
يا مضرب الخيم المنيفة للقرى ما أنصف العجم الألى ضربوك
ما كنت يوما للقنابل موضعا ولوانها من عسجد مسبوك

وقال من قصيدته نكبة دمشق :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعذرة اليراعة والقوافى جلال الرزء عن وصف يدق
وذكرى عن خواطرها لقلبى إليك تلفت أبدا وخفق

ثم قال :

وقفتم بين موت أو حياة فإن رمتم نعيم الدهر فاشقوا
وللأوطان فى دم كل حر يد سلفت ، ودين مستحق
ومن يسقى ويشرب بالمنايا إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا
ولا يبنى الممالك كالضحايا ولا يدنى الحقوق ولا يحق
ففى القتلى لأجيال حياة وفى الأسرى فدى لهمو وعتق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وقال من قصيدته لبنان :

لبنان والخلد ، اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته
هو ذروة فى الحسن غير مرومة وذرا البراعة والحجا بيروته

وقال من قصيدته زحلة :

ودمشق جنات النعيم ، وإنما ألفيت سدة عدنهن رباك
قسما لو انتمت الجداول والربا لتهلل الفردوس ، ثم نماك
مرآك مرآه ، وعينك عينه لم يا زحيلة لا يكون أباك

ثم قال :

لم أنس من هبة الزمان عشية سلفت بظلك ، وانقضت بذراك
كنت العروس على منصة جنحها لبنان فى الوشى الكريم جلاك
يمشى إليك اللحظ فى الديباج أو فى العاج من أى الشعاب أتاك
ضمت ذراعيها الطبيعة رقة صفين والحرمون ، فاحتضناك
والبدر فى ثبج السماء منور سالت حلاه على الثرى وحلاك

وقال من قصيدة طوكيو :

قف (بطكيو) وطف على (يوكهامه) وسل القريتين كيف القيامه
دنت الساعة التى أنذر النا س ، وحلت أشراطها والعلامه

قف تأمل مصارع القوم وانظر هل ترى من ديار عاد دعامه
خسفت بالمساكن الأرض خسفاً وطوى أهلها بساط الإقامه
طوفت بالمدينتين المنايا وأدار الردى على القوم جامه
لا ترى العين منهما أين جالت غير نقض، أو رمة، أو حطامه
حازهم من مراجل الأرض قبر فى مدى الظن عمقه ألف قامه
تحسب الميت فى نواحيه يعيى نفخة الصور أن تلم عظامه

ولما أن وثبت مصر وثبتها الوطنية بعد الحرب الكبرى — تقدم شوقى يمد النهضة بشعره، ويخلد أهم ظواهرها وأحداثها فيه، فامتدح كبار الزعماء، وأكبر جهادهم لخير الكافة فى مواقف كثيرة، ودرس مشروعى ملنر، و ٢٨ فبراير دراسة شعرية ممتعة، نثر فى أثنائها المواعظ والحكم، وألم فيها بأهم بنود مشروع ملنر إلمامة فنية بارعة، ومن خير ما عنى به شوقى فى شعر هذه الفترة العمل على رد كلمة الأمة إلى الاجتماع كما كانت فى فجر النهضة، فكرر الدعوة إلى الوفاق والتعاون، وألح فى النهى عن الفرقة والخلاف، تارة فى هدوء الناصح المترفق، وطورا فى عنف الصاخب المتسخط.

ولما تشعبت النهضة، وامتد نطاقها إلى الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، لم يقعد شوقى عن مسايرتها، ولم يقصر فى الاشادة بفضل الزعماء الذين عملوا على اتساع أفقها، وتولوا قيادة شعبها المختلفة، فقال فى ذلك قصائد من أجود شعره وأرفعه قيمة.

قال من قصيدته مشروع ملنر:

أربعة تجمعهم همة ينقلها الجيل إلى عقبه
قطارهم كالقطر هز الثرى وزاده خصباً على خصبه

لو لا استلام الخلق أرسانه شب فنال الشمس من عجبه
كلهم أغير من وائل على حماه ، وعلى شعبه
لو قدروا جاءوكمو بالثرى من قطبه ملكا إلى قطبه
وما اعتراض الحظ دون المنى من هفوة المحسن أو ذنبه
وليس بالفاضل فى نفسه من ينكر الفضل على ربه

ثم قال :

قد صارت الحال إلى جدها وانتبه الغافل من لعبه
الليث والعالم من شرقه فى هيبة الليث إلى غربه
قضى بأن نبنى على نابه ملك بنينا وعلى خلبه
ونبلغ المجد على عينه وندخل العصر إلى جنبه
ونصل النازل فى سلمه ونقطع الداخل فى حربه
ونصرف النيل إلى رأيه يقسمه بالعدل فى شربه
يبيح أو يحمى على قدرة حق القرى والناس فى عذبه
أمر عليكم أو لكم فى غد ما ساء أو ما سر من غبه

وقال من قصيدة مشروع ٢٨ فبراير :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا وفاز بالحق من لم يأله طلبا
وما قضت مصر من كل لبانتها حتى نجر ذيول الغبطة القشبا
فى الأمر مافيه من جد ، فلا تقفوا من واقع جزعا ، أو طائر طربا
لا تثبت العين شيئا أو تحققه إذا تحير فيها الدمع واضطربا
والصبح يظلم فى عينيك ناصعه إذا سدلت عليه الشك والريبا
إذا طلبت عظيما ، فاصبرن له أو فاحشدن رماح الخط والقضبا

ثم قال :

لا ريب أن خطا الآمال واسعة ... وأن ليل سراها صبحه اقتربا
وأن فى راحتى مصر وصاحبها ... عهدا وعقدا بحق كان مغتصبا
قد فتح الله أبوابا لعل لنا ... وراءها فسح الآمال والرّحبا
لولا يد الله لم ندفع مناكبها ... ولم نعالج على مصراعها الأربا
لاتعدم الهمة الكبرى جوائزها ... سيان من غلب الأيام أو غلبا
وكل سعى سيجزى الله ساعيه ... هيهات يذهب سعى المحسنين هبا
لم يُبرم الأمر حتى يستبين لكم ... أساء عاقبة أم سر منقلبا
نلتم جليلا ، ولا تعطون خردلة ... إلا الذى دفع الدستور أو جلبا
تمهدت عقبات غير هينة ... تلقى ركاب السرى من مثلها نصبا

وقال من قصيدته : اعتداء :

فيا سعد جرحك ساء الرجا ... ل ، فلا جرحت فيك أوطانها
وقتك العناية بالراحتيـ ... ـن ، وطوق جيدك إحسانها
منايا أبى الله إذ ساورتـ ... ـك فلم يلق نابيه ثعبانها
حوت دمك الأرض فى أنفها ... زكيا ، كأنك عثمانها
ورقت لآثاره فى القميص ... كأن قميصك قرآنها

ثم قال :

ويا سعد أنت أمين البلاد ... قد امتلأت منك أيمانها
ولن ترتضى أن تقد القناة ... ويبتر من مصر سودانها
وحجتنا فيهما كالصباح ... وليس بعميك تبيانها
فمصر الرياض وسودانها ... عيون الرياض وخلجانها

وقال من قصيدة الحرية الحمراء :

نثر الكنانة ربها ، وتخيرت يده لنصرتها ثلاثة أسهم
من كل أعزل حقه بيمينه كالسيف فى يمنى الكمى المعلم
لم يحجموا فى ساعة قد أظفرت ملك البحار بكل قيصر محجم
وقفوا مطيهم بسلم قصره والبأس والسلطان دون السلم
وتقدموا! حتى إذا ما بلغوا أوحوا إلى مصر الفتاة تقدمى
سالت من الغاب الشبول غلى بها لبن اللباة ، وهاج عرق الضيغم
يوم النضال كستك لون جمالها حرية صبغت أديمك بالدم
أصبحت من غرر الزمان وأصبحت ضحكت أسرة وجهك المتجهم
ولقد يتمت ، فكنت أعظم روعة ياليت من سعد الحمي لم ييتم
ليم أبو الأشبال ملء جفونه ليس الشبول عن العرين بنوم

وقال من قصيدة ٢٨ فبراير :

ضموا الجهود ، وخلوها منكرة لا تملئوا الشدق من تعريفها عجبا
أفى الوغي ورحى الهيجاء دائرة تحصون من مات، أو تحصون ما سلبا؟

وقال من قصيدة المؤتمر :

قل للبنين مقال صدق واقتصد ذرع الشباب يضيق بالنصاح
أنتم بنو اليوم العصيب نشأتم فى قصف أنواء وعصف رياح
ورأيتمو الوطن المؤلف صخرة فى الحادثات وسيلها المجتاح
وشهدتمو صدع الصفوف وما جنى من أمر مفتات ونهى وقاح
صوت الشعوب من الزئير مجمعا فاذا تفرق كان بعض نباح

وقال من قصيدة شهيد الحق :

إلام الخلف بينكم إلاما وهذى الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكم لبعض وتبدون العداوة والخصاما
وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت على حال ، ولا السودان داما
وأين ذهبتم بالحق لما ركبتم فى قضيته الظلاما
لقد صارت لـكم حكما وغنما وكان شعارها الموت الزؤاما
وثقتم واتهمتم فى الليالى فلا ثقة أدمن ولا اتهاما
شببتم بينكم فى القطر نارا على محتله كانت سلاما
إذاا ما راضها بالعقل قوم أجد لها هوى قوم ضراما
ترامیتم ، فقال الناس : قوم إلى الخذلان أمرهم ترامي
وكانت مصر أول من أصبتم فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الرماة رماة سوء أحلوا غير مرماها السهاما
أبعد العروة الوثقى وصف كأنياب الغضنفر لن يراما
تباغيتم كأنـكم خـلايا من السرطان لا تجد الضماما
أرى طيارهم أوفى علينا وحلق فوق أرؤسنا وحام
وأنظر جيشهم من نصف قرن على أبصارنا ضرب الخياما
فلا أمناؤنا نقصوه رمحاً ولا خواننا زادوا حساما
ونلقى الجو صاعقة ورعداً إذا (قصر الدبارة) فيه غاما
إذا انفجرت علينا الخيل منه ركبنا الصمت ،أوقدنا الـكلاما
فأبنا بالتخاذل والتلاحى وآب بما ابتغى منا وراما

وقال من قصيدة النسر المصرى :

أعقاب فى عنان الجو لاح أم سحاب فر من هوج الرياح
أم بساط الريح ردته النوى بعد ما طوف فى الدهر وساح
أو كأن البرج ألتى حوته فترامي فى السماوت الفساح

أقبلت من بُعُدٍ تحسبها نحلة عنت وطنت فى البراح

ثم قال:

لم لا يفتن فتيان الحمى ذلك الإقدام أو ذاك الطماح

من فتى حل من الجو بهم فتلقوه على هام وراح

إنه أول عصفور لهم هز فى الجو جناحيه وصاح

دبت الهمة فيه ومشت عزمات منك يا حرب صحاح

وقال من قصيدته (بنك مصر) :

قف بالممالك وانظر دولة المال واذكر رجالا أدالوها باجمال

وانقل ركاب القوافى فى جوانبها لا فى جوانب رسم المنزل البالى

ثم قال :

يا طالبا لمعالى الملك مجتهداً خذها من العلم أو خذها من المال

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل و إقلال

سراة مصر عهدنا كم إذا بسطت يد الدعاء — سراعا غير بخال

تبين الصدق من مين الأمور لكم فامضوا إلى المال لا تلووا على الآل

فشوقى بلا مراء شاعر العصر الحديث ، وشعره سجل الحياة العصرية بما اضطرب فيها من عاطفة ، وما استشرفته من أمل ، لا فى مصر وحدها بل فى البلاد الشرقية عامة . وما أصدق حديثه عن نفسه فى هذا المعنى حين يقول فى قصيدته التى ألقيت فى مؤتمر تكريمه :

رب جار تلفتت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه

بعثتنى معزياً بمآقى وطنى أو مهنئا بلسانه

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق ، وكان العزاء فى أحزانه

فلهذا لقب عن جدارة بأمير الشعراء ، فكان لقباً كريماً صادق التعبير ، اعتز به الشاعر ، ولم يكد قائله يقوله لأول مرة حتى تلقفه الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتعدد حظوظهم من الثقافة ؛ يدعونه به كلما تحدثوا عنه ، حتى صار علما غالباً عليه ، أو قل خالصاله :

ولهذا أيضا رأى شعراء العربية وأدباؤها فى الأقطار المختلفة ، أن يجتمعوا لتمجيده فى حفل جامع ، يليق بجلالة شأنه بينهم ، فتنادوا إلى مصر للموعد الذى ضربته لجنة الإعداد والتمهيد . وفى هذا الحفل تجاول جمهور الأدباء يطنبون شوقى ، ويشيدون بفضله على العربية ما أسعفتهم المقالة ، ووسعهم المجال . ونهض المرحوم حافظ إبراهيم فيمن نهض ينادى بصوته الرنان :

أمير القوافى ! قد أتيت مبايعا　　وهذى وفود الشرق قد بايعت معي

وألقيت فى المؤتمر قصيدة لشوقى ، حيا فيها مكرميه ، وتحدث عن وحدة الألم والأمل التى آخت بين الأقطار العربية ، وجمعت أبناءها على التراحم والتعاطف ومطلعها :

مرحبا بالربيع فى ريعانه　　وبأنواره وطيب زمانه

ومنها :

يا عكاظاً تألف الشرق فيه　　من فلسطينه إلى بغدانه

إفتقدنا الحجاز فيه فلم نعـ　　ـثر على قسه ولاسحبانه

حملت مصر دونه هيكل الديـ　　ـن ، وروح البيان من فرقانه

وطدت فيك من دعائمها الفصـ　　ـحى ، وشد البيان من أركانه

ومنها :

شرفت مصر بالشموس من الشر　　ق ، نجوم البيان من أعيانه

قد عرفنا بنجمه كل أفق واستبنا الكتاب من عنوانه
لست أنسى يداً لاخوان صدق منحونى جزاء ما لم أعانه

ومنها :

قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح ، وأن نلتقى على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عمانه
وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث فى قضبانه
نحن فى الفكر بالديار سواء كلنا مشفق على أوطانه

فلم يكن إذاً من هم المجتمعين فى هذا الحفل مبايعة شوقى بامارة الشعر ، والمناداة به أميراً على الشعراء ، لأن هذه الإمارة كما تقدم قد نودى بها من قبل ، واستقر له أمرها منذ أمد بعيد ، وإنما كان همهم الأكبر هو الاشهاد على مبايعته والاعتراف بامارته فى ملأ من العلية وذوى الجاه والرأى ، كأنهم أحسوا أن مجرد التسليم له بفضل السبق دون الاشهاد عليه لا يبرأ من الظنة ، ولا يكفى وحده فى الابانة عن مبلغ ما يسرون له من الاعتراف والاذعان .

على أن شوقى قد أوذى فى عبقريته ونبوغه أواخر أيامه ، واتهم فى غير قصد بتقليد القدماء والجمود على مذاهبهم فى الشعر ، عجزاً عن مسايرة الحياة الجديدة ، وتصوير ما تجيش به من العواطف وما تنزع إليه من الآمال . اتهمه بذلك نفر من متأدبى الشباب دون أن يأتوا بمثل ما أتى به ، أو بشىء ذى بال مما أرادوه عليه؛ فلم ينالوا منه منالا ، ولم يستطيعوا أن يغيروا الرأى فى شعره وشعرهم ، على الالحاح فى نقده ، والاسراف فى الغارة التى شنوها عليه

ولقد أفاد الأدب من هذه الخصومة خيرا كثيرا ، فان شوقى أبى أن يسكت عن خصومه وأن يدعهم يقعون فيه وفى شعره كما يشاءون ، ولم يشأ أن يأخذهم بالمحاجة والمناظرة ، بل بالاتيان بما زعموا أنه عاجز عن الاتيان به ، فأخرج رواياته التمثيلية الشعرية ،

ووضع أغانيه الرقيقة العذبة ، وتولى تمثيل ذلك والتغنى بهذه نفر من أقدر رجال الفن وأبرعهم فى الصناعة فكان للجمهور من النوعين متاع كثير ، وكان لشوقى من من كليهما شاهد أى شاهد على أنه حقاً أمير الشعراء .

ولما قضى شوقى وخلا مكانه منه ، تلفت الناس حولهم فى لهفة وإشفاق يبحثون عن رجل يصلح لهذا اللقب من بعده ، فاذا الخسارة فى شوقي أكبر مما حسبوا ، وإذا الفراغ الذى أعقب موته أوسع من أن يملأه طامع فيه ، فانقلبوا يائسين يطوون نفوسهم على الحسرة والألم ، وبقى مكان أمير الشعراء شاغراً كما يقولون ، كأن الناس آثروا انتظار الخليفة الكفء يأتى به المستقبل ولو بعد حين ـ على المبادرة إلى رجل ليس هناك ، ضناً بالأمير الجليل على غير أهله ، فتبقى له هيبته ، ويظل كما يجب أن يكون ـ معقد آمال الطامحين من أهل النبوغ والعبقرية . لكن أديباً من أدبائنا المشهورين لم يرقه هذا الموقف ، ولم يشأ السكوت عن خلاف الجماعة ، وتسفيه رأيها ، فنصب نفسه حاكما بأمره يؤتى زعامة الشعر من يشاء ، وينزعها ممن يشاء ، وينقلها إلى حيث يريد ، فأعلن أن زعامة الشعر بعد شوقى قد صارت إلى العراق ، وأن مصر لم يبق فيها شاعر يستحق أن يلقب بأمير الشعراء ، كأنه لم يكن يومئذ يعلم أن له صديقاً من الكتاب المقدمين ، يتعاطى الشعر ، ويطمح أن تكون زعامته إليه . ولابد أن يكون صاحبنا حين تبين الأمر ـ قد ندم على فعلته ، وأدرك بعد ضياع الفرصة أن واجب المصانعة كان يقتضيه أن يكون داعيا لصديقه ، ومبشرا بزعامته ، لا أن يتجاهل موضعه ، ويصد عن مصر كلها وهو فيها . بل لعل صاحبنا أوجس فى نفسه خيفة منه وتوقع أن سيناله بالحساب والمؤاخذة ، فما هو بالرجل اللين السهل ، يرجى رضاه من قرب ، ويتقي سخطه ببعض الحيلة ، لكنه رجل صعب المراس ، شديد اللدد ، فيه جبرية واعتداد بالكفاية والنفس إلى الغاية التى لا غاية وراءها ، حتى لا يكاد يطيق النقد ، أو يصبر عليه ، مهما يكن صاحبه ، وعلى أى وجه يكون .

على أن الله كان أرحم بصاحبنا من أن يتركه على الحال التى وصفنا من الندم والخوف ، فأتاح له فرصة طيبة ، تدارك فيها ما فات ، ورجع عما اندفع اليه . فلم يكد صديقه الطموح ينظم نشيده القومى ، ويضع كدأبه (مذكرته التفسيرية) - حتى انبث الدعاة من أنصاره والمعجبين به ، يذيعون هنا وهناك أن الشاعر قد سمح بعد لأى أن يحتفل الناس لتكريمه ، ودراسة عبقريته ، وأن عرفان الفضل لصاحبه يوجب المشاركة فى هذا الحفل ، ولما جاء وعده سارع إلى الخطابة صاحب نظرية انتقال زعامة الشعر من مصر ، فشهد على نفسه ، وناقض رأيه ، إذ قال فلم يعدل ، ومدح فلم يتحفظ ولم يقتصد ، كعادته حين يرغب أو يرهب ، كأنما خيل إليه أن لن تقال عثرته ، بل لن تقبل توبته إلا بهذه الكفارة المغلظة ، ثم ختم كلامه بمبايعة صديقه بالخلافة على الشعر ، ودعوة الناس إلى مبايعته والانضواء إلى لوائه .

فهل تراه كان يحسب أن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من كلمة يقولها فى الناس ، أو أمر يأمرهم به ، فاذا هم يتداعون إليه مسرعين ؟ هيهات ، فالناس أكرم على أنفسهم من أن يلغوا عقولهم ، أو يكذبوا أذواقهم بالاستجابة إلى هذه الدعوة المدخولة ، تحفز إليها المصانعة والزلفى ، فلذلك ظلوا على رأيهم أن خليفة شوقى لما تأت الأيام به ، وأن انتظاره خير من الرضا بحكم الضرورة ، والقناعة بمن ليس أهلا لهذه الخلافة ، وخلوا بين الصديقين يتقارضان الثناء كما يشاءان وتشاءلهما الأهواء ، دون أن يمكنوا أحدا من التسلط على مصاير أمورهم العامة ، والحكم فيها وفق العلائق الشخصية الخاصة .

فمن الخطأ إذا أن يظن ظان أن هذه الألقاب الشعبية يمكن أن تملى على الناس إملاء ، أو يفرض عليهم أصطناعها فرضا بالدعوة واجتماع الحفل . وإنما سبيلها الذى لا عوج فيه ولا أمت أن يمضى الطالب فيما هو ميسر له من عمل ، يتابع الانتاج منه ويحتمل الجهد فيه ما وسعته الطاقة ، وأسعفته المنة ، وهو بفضل ألمعيته ومثابرته وجليل مناقبه — جدير أن يثير انتباه الناس له ، و يشغل أذهانهم به ، ويحرك

ألسنتهم وأقلامهم بترداد ذكره ، وطول الحديث عن آثاره .

وكلما كان نتاجه أكثر وأبهر ، وكان بالجماهير ألصق ، وفى الحياة أبين فعلا ، وأحمد أثراً – كانت الطلبة أدنى ، والطريق إليها أقصر مدى ، وأوضح محجة ، لأن الجماهير إذ ذاك تؤخذ دراكا بعبقريته وتتابع أعماله البارعة : لا تكاد تنتهى من الإعجاب بأحدها إلا إلى الاعجاب بآخر ، ربما كان أجل من سابقه وأبرع ، فلا تلبث أن تحس إحساساً ملحاً بالحاجة إلى لقب من ألقاب التكريم تخلعه عليه ، وتذكره به حين تتحدث عنه ، ولا يعدم القائلون عنه ، والمثنون على فضله ، أن يقع لأحدهم اللقب المنشود ، يلهمه إلهاما ، فاذا هو يختصر مناقبه ، ويشير إلى وجهته فى معترك النشاط الانساني ، ويحسن التعبير عن شعور الجماهير بعظمته وإكباره ، وإذا الناس يتلقفونه فى ولوع وشغف ، كما يتلقفون الضالة الكريمة جهدوا فى طلبها والبحث عنها .

ذلك ما كان حين لقب شوقى بأمير الشعراء ، وسعد بالرئيس الجليل ورمز الأمانى وغيرهما ، وحين لقبت السيدة الجليلة عقيلته بأم المصريين ، ولقب بيتهما الكريم ببيت الأمة ، وهلم جرا .

فالجماهير هى التى تمنح الألقاب الشعبية ، وتصطنعها لأصحابها ، بعد أن تنظر أعمالهم ، ويصح لديها أنهم أصبحوا أهلالها ، وإذا كان اجتماع بعد ذلك ، فانما يكون بتسجيل الألقاب ، وإعلان الاعتراف بها ليس غير .

علي النجدي ناصف

عقيدة أبى العتاهية

للأستاذ محمد أحمد برانق

المدرس بمدرسة طنطا الثانوية

قبل أن نتحدث عن عقيدة أبى العتاهية ، ونحاول تصويرها ؛ يجب أن نعرف منزلته الاجتماعية والنَّسبية ، وفى أى عصر عاش ، وإلى أى حد شغلت المسائل الدينية عقول المفكرين فى عصره ، ومدى التأثير الذى وصلت إليه ؛ فان العصر الذى يعيش فيه الانسان والظروف المحيطة به ، ومايشملها من أخذ ورد وما تنفرج عنه الآراء المختلفة ، ومايتبين من مناقشتها — كل ذلك يؤثر فيه تأثيراً قليلا أو كثيراً ، يرجع إلى مقدار ارتباطه بتلك الظروف ، وقدرته على فهمها وتكييف مسائلها .

وأبو العتاهية كان من غمار الناس ، فانه مولى عَنَزى (١) من قبل أبيه ، وزهرى من قبل أمه ، وكان أبوه حجاماً ، ثم كان هو وإخوته يصنعون الجرار الخضر ، ولذلك لم يستطع أن يصاول بنسبه ، ويفاخر بأبيه وجده ، وقد جاذبه يوماً رجل من كنانة فى شىء ، ففخر عليه الكنانى ، واستطال بقوم من أهله ، فقال أبو العتاهية :

دعنىَ من ذكر أب وجدٍ ونسب يعليك سور المجد

ما الفخر إلا فى التقى والزهد وطاعة تعطى جنان الخلد

لا بد من ورد لأهل الورد إما إلى ضحل وإما عِدٍّ (٢)

---

(١) ولا يدفع هذا ما ذكر من أن محمد بن أبى العتاهية يزعم أنهم من عنزة النسب لا بالولاء .

(٢) الضحل : الماء القليل على الأرض لا عمق له . والعد : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع : كماء العين

عاش أبو العتاهية فى عصر كانت العقول قد بدأت فيه تتجه فى أمور الدين اتجاهاً جديداً ، ولم ترض النفس بالتسليم بما جاء فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، من غير أن يحكموا العقل فى أكثر الأمور ، ويناقشوا كل ما يعرض لهم من مسائل تتعلق بالتوحيد والصفات والوعد والوعيد وغير ذلك . ساعدهم على ذلك كثرة من دخلوا فى الدين من علماء الأعاجم ، وترجمة الكتب الرومانية واليونانية والهندية والفارسية والسريانية ونحوها ، لا سيما ما كان منها خاصاً بمسائل الإلهيات والفلسفة والمنطق .

كان النّضج العقلى لأبى العتاهية فى النصف الثانى من القرن الثانى ، فانه ولد سنة ١٣٠ هـ ، وبقى حيا إلى أن مات سنة ٢١٠ ، وقيل سنة ٢١١ ، وقيل سنة ٢١٣ وأيا كانت سنة وفاته فهو قد عاصر فى رجولته المهدى والرشيد والمأمون ، وكانت له مع كل منهم أخبار وحوادث .

***

نشأ أبو العتاهية بالكوفة ، وأقام فى بغداد حاضرة العباسيين ، ومنبع النور والعرفان إذ ذاك ، ومحط رحال العلماء والشعراء والمترجمين ، وكعبة القاصدين من أطراف البلاد الاسلامية ؛ لأخذ البدَر التى كان يَنفَحها الخلفاءُ الشاعرَ إذا رضُوا عن قصيدته ، والمجادلَ إذا انتصر فى حجاجه ، والعالمَ إذا أنار مسألة أظلمت برأى غيره ، وهكذا

كان أبو العتاهية فى صغره حسن الهيئة ، جَعْدَ الوفرة ، أفْحَمَ الشعر ، أبيض اللون ، نحيل الجسم ممشوقا ، وكان لبقاً ، فصيحاً ، زَكِناً ، ذَهِنا ، وكل هذه من خلق الله

أما الصفات الجسمية فليس لأحد أن يشك فيها ، ويكادون يتفقون على أنه كان وسيما خفيف الظل ؛ وأما الصفات النفسية ، وهى اللباقة والفصاحة والزكن والذَّهَن ، فهى صفات قد يكسب الشخص شيئا منها بالمران ، وكثرة الاتصال بالناس ، ولكن أبا العتاهية فى أول أمره كان لا يختلط إلا بمن هم على شاكلته من الخزافين ، وصانعى الجرار ، وتجارها ، وهؤلاء لا يكتسب أحد منهم لباقة

ولا حصافة ولا زكنا ،وهو إنما كان يقصده زمن شبابة المتأدبون والأحداث، فينشدهم ما عسى أن يفتح الله به عليه من الشعر ، فيأخذون قطع الخزف ويكتبون فيها ماينشدهم ، فهذه الصفات النفسية كانت لطبع فيه ، فهى موروثة أو موهوبة ، وليست مكتسبة ولا متصنعة ، وأما أثر هذه الصفات فى تفكيره واعتقاده ، فمن المعقول أنه لم يظهر فى أيام صباه ، فقد كان له فى مزاولة الخزافة ، وبيع الجرار بالكوفة ، ليكسب من ورائها رزقه — ما يشغله عن التفكير فى أمر عقيدته وفيما عسى أن يختار لنفسه من المذاهب التى كثر حولها الجدل فى ذلك الزمان، ولعل أول ما عرفه الأحداث أنه اجتاز فى أول أمره ، وعلى ظهره قفص فيه فخار يدور به فى الكوفة ويبيع منه ، فمر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ، ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال: يافتيان ، أراكم تذاكرون الشعر ، أفأقول شيئاً منه فتجيزونه ؟ ، فان فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ، فهزئوا منه وسخروا به ، وقالوا : نعم ، قال : لابد أن يشترى بأحد القمارين رطب يؤكل ، فانه قمار حاصل ، وجعل رهنه تحت يد أحدهم ففعلوا مثله ، فقال : أجيزوا :

ساكنى الأجداث أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتا فى ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ، ولم يجيزوا البيت، فغرموا الخطر ، وجعل يهزأ بهم وتممه :

. . . . مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعرى ما صنعتم أربحتم أم خسرتم ؟

وإن ما كان يقرضه من الشعر فى الكوفة ليس إلا شيئاً يَتلَهّى به ، ويسرى عن نفسه بعض ما يلاقيه من العنت والإرهاق من مزاولة تلك الصنعة الحقيرة طول يومه ، وكان يسره أن يهتم بشعره الأحداث والشداة ، فيجتمعون حوله ويسمعون إنشاده ، ويطربون له ، فيستهويه طربهم منه وإعجابهم به ، فيزيد فى قرض الشعر ، وإنشاد الأحداث والشداة على هذا الوجه ، ولعلك سائل نفسك فى هذا الموضع : ماهو الشعر الذى كان يقرضه أبو العتاهية حين ذاك ، فيسر

بسماعه الأحداث ؟ إنني لم أعثر على شيء من شعره فى ديوانه أو فى غير ديوانه من المظان التى بين يدى ، والتى فيها شعر لأبى العتاهية — قد بقى على أنه قرضه فى الكوفة ، وأنه كان ينشده فى حلقة الصبيان ، فيعجبون ويطربون ؛ ومع ذلك فهل يكون هذا الشعر فى شيء غير الغزل الرقيق ، أو يكون إلا فى وصف شيء من الأشياء التى يحبها الشباب يجرى فى عروقه الدم الحار ، ويمتلىء جسمه فتوة ، يحب المرح ويميل إلى اللهو ؟ إن شعره يغلب أن يكون فى هذا النوع ، ولو لم يكن فيه وحده لبرم به الشبان ، وسئموا إنشاده ولم يعاودوه ، ثم ماذا كان يغريهم بلقاء جرار وابن حجام ، مثل أبى العتاهية النزيل بهم ، فهو وضيع من وضيع (١) ، وهو غريب عنهم ؟ فلولا أنه عرف كيف يستهويهم ، ويجمعهم حوله ، بالضرب على الوتر الذى كانوا يحبونه ، لما حفلوا به ، ومن يدرى ؟ لعله كان فى ذلك رواج لبضاعته ، التى كان لا يزال إلى اليوم يكسب منها عيشهُ الذى يقوت به نفسه وأخاه ؟ .

وبما ضاع من شعره الذى كان يقرضه هناك أيضاً ما كان يقرضه فى بنى معن بن زائدة ، إذ كانت بينه وبينهم خصومة ، ومنه ما ذكر من أن عبد الله بن معن تهدده وخوفه فقال يهجوه :

ياصاحبى رحلتى ، لا تكثرا	فى شتم عبد الله من عَذلِ
سبحان من خص ابن معن بما	أرى به من قلة العقلَ
قال ابن معن ، وجلا نفسه :	على من الجَلْوَةُ ياأهلى
أنا فتاة الحى من وائل	فى الشرف الشامخ والنُّبْلِ
مافى بنى شيبان أهل الحجى	جارية واحدة مثلى

واستمر على هذا النحو من الهجاء حتى أقذع وأفحش ، فانتقم منه عبد الله بمثل ماهجاه به ومن واديه (راجع الأغانى ج ٤ ص ٢٢ . والديوان ص ٢٢٤)

ثم كان بينه وبين بنى معن هؤلاء ماوقعت بسببه خصومة طويلة ، فانه كان كلما مضوا فى مغاضبته أمعن هو فى هجوهم ، والنيل منهم ، والتَّعنُّته عليهم ، واتصل

(١) راجع كتاب التاج ص ٢٤ ، ٥٠ .

هجاؤه لهم ، حتى قال في عبد الله وكان قد تهدده وتوعده بالشر إن هو شبب بجاريته سعدى :

ألا قل لابن معن ذا الـذى فى الود قد حالا
لقد بلغت ما قال ، فما باليت ما قالا
ولو كان من الأسد لما صال ولا هالا
فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا
ولو مد إلى أذنيه كفيه لما نالا
قصير الطول والطيلة لاشب ولاطالا (١)
أرى قومك أبطالا ، وقد أصبحت بطالا

قال عبد الله : ما لبست سيفى قط فرأيت إنسانا يلحظنى ، إلا ظننت أنه يحفظ قول أبى العتاهية فى فلذلك يتأملنى ؛ فأخجل - يريد بذلك قوله :

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

من ذلك تعلم أن شعره فى أول أمره كان كشعر غيره من الشعراء فى أول أمرهم ، ولما شدا وترعرع ، وجد الشعر منبع رزق لايغيض معينه ، فمدح وهجا وخاصم وعاند . وخشيه الأشراف فصالحوه ، إلا أن هذا النوع من شعره عامة ، وماقرضه منه فى الكوفة خاصة - لم يصلنا منه إلا نزر يسير ، لايكاد يصور لنا طرفا من حياته الأولى صورة واضحة ، ولكن الذى نجزم به ، أنه ما كان يلبس وهو فى الكوفة أبراد الزاهدين ، وما كان إلا شاعرا شابا شأنه شأن الشبان لايجرى على ألسنتهم ذكر الموت والقبر والنشر والحشر والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار إلا بقدر ، وهمهم من الحياة غالبا عيشة راضية يغلب عليها المرح والسرور . وساعد أبا العتاهية على ذلك طبع فيه ؛ أما التنسك فانه يغلب ألا يكون فى غير الشطر الثانى من العمر ، إلا إذا أحاط بالانسان ظروف

---

(١) الطيلة العمر

وملابسات خاصة تجعله يجرى على غير الغالب والمألوف . وكان فى أبى العتاهية انخناث وتكسر، وحمل زاملة المخنثين فى الكوفة زمن شبابه ، وهذا مضافا إلى أدبه ، جمل مصنع الخزافة حلقة أدب ، وقد ظل فى حاله من التخنث ، وحمل زاملة المخنثين حتى استبانت سنه ، فعوتب فى ذلك ، وأنكره بعض الناس عليه ، وقال له : أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك ؟ ! ، فقال له : أريد أن أتعلم كيادهم ، وأتحفظ كلامهم . وقد أغراه جنون شبابه أن يحب امرأة نائحة من أهل الكوفة ، بها حسن ، وفيها جمال ، ولها دلال ، وشبب بها ، ثم لم يلبث أن مَلّها ، وَبرِم بها ، واجتواها ، واتهمها بالنساء ، وقال فى ذلك شعراً (١)

* * *

عرف أبو العتاهيه ، وذاع صيته فى الشعر ، وخشيه أشراف الكوفة ، وقربه كثير منهم ، ونالحوا عنه ، حتى إن عبد الله بن معن أراد يوماً عقابه على هجو قاله فيه ، فضربه مائة سوط ليس بالمبرح تغيظاً عليه ، وإنما لم يغلظ في ضربه تَقِيّةً منه ، وخوفا من كثرة من يعنى به ؛ ولما ساء بنى معن هجاؤه ، مضوا إلى مندل وحيان العنزيين ، وهما من بنى عمرو بن عامر ، بطن من يَقْدُم بن عنزة ، وكانا من سادات أهل مكة — فقالوا لهما : نحن بيت واحد وأهل ، ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولا كم هذا مالو أتانا من بعيد الولاء لوجب ان تردعاه . فأحضرا أبا العتاهية ، ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنى معن ، وضمنا عنه خلوص النية ، وعنهما ألا يتبعاه بسوء ، وكانا ممن لا يمكن خلافهما ، فرجعت الحال إلى المودة والصفاء ، فجعل الناس يعذلون أبا العتاهية على ما فرط منه ، ولامه آخرون فى صلحه لهما ، فقال :

ما لعذالى ومالى ؟ أمرونى بالضلال
عذلونى فى اغتفارى لابن معن واحتمالى
إن يكن ما كان منه فبجرمى وفعالى
أنا منه كنت أسوا عشرة فى كل حال
قل لمن يعجب من حسن رجوعى ومقالى:

(١) راجع كتاب الأغانى ج ٤ ص ٢٤

رب ود بعد صد وهوى بعد تقالى
قد رأينا ذا كثيرا جاريا بين الرجال
إنمـــا كانت يمينى لطمت منى شـــمالى

هاجر أبو العتاهية من الكوفة إلى بغداد فى زمن المهدى ، وكان مخنثا لا يزال على حاله فى الكوفة : يحب النساء ، ويشبب بهن ، ويتعرض لهن ، وله مع عتبة جارية المهدى حديث طويل ، وكان لا يتورع عن أن يشبب بها فى حضرة الخليفة وفى مجلسه ، حتى إنه عند ما قال :

ألاما لسيدتى ما لها؟ أدلا فأحمل إدلالها !
وإلا ففيم تجنت وما جنيت؟ سقى الله أطلالها
ألا إن جارية للإما م قد أسكن الحب سربالها
مشت بين حور قصار الخطا تجاذب فى المشى أكفالها
وقد أتعب الله نفسى بها وأتعب باللوم عذالها

مال بشار إلى أشجع السلمى تلميذه ، وقال : ويحك يا أخا سليم ! لا أدرى من أى أمريه أعجب !؟ أمن ضعف شعره ؟ ، أم من تشبيبه بجارية الخليفة يسمع ذلك بأذنه

ونحن وإن كنا لم نعرف بالضبط السنة التى هجر فيها الكوفة ونزح إلى بغداد ، فإنها كانت على أى حال زمن المهدى ، حيث اتصل به ولازمه ، ولطف محله عنده ، فكان يجالسه ويسايره ويسمر عنده ، ويخرج معه للصيد ، ويتشفع فيمن يغضب منهم المهدى ويتغيظ عليهم ، فيقبل شفاعته ، ويعفو بعد أن يأمر بالجر على الوجوه ، والإلقاء فى السجن ، ثم هو يجلس معه وقد ماتت ابنته فحزن عليها وامتنع من الطعام والشراب ، فيعزيه ، فيقبل عزاءه ، ويقول له : أحسنت ويحك وأصبت مافى نفسى ، ووعظت وأوجزت ، ثم أمر له لكل بيت بألف درهم .

وكان يتصل بهارون بن المهدى ولا يتصل بالهادى ، فلما تولى الهادى الخلافة تنكر له ، ولم يحظ عنده ، ولكن أبا العتاهية ، وهو الشاعر اللبق الحصيف المطبوع ،

لم يعز عليه أن يترضى الهادى ، ويستل سخيمته بشىء هين عليه ، رخيص عنده ، لايكلفه مايكلف غيره من العنت والارهاق ، وكد الذهن ، وكدح الخاطر ؛ ذلك هو أبيات من الشعر تجعله راضيا عنه ، بعد أن كان واجداً عليه ، وقد كان ذلك ؛ فانه غسل وجده بأبيات مدحه بها ، ثم نال جائزة بقصيدة أنشدها بين يدى الخلافة ، ويظهر أنه كان لايحب الهادى ؛ لأنك لو رجعت إلى تلك الأبيات التى مدحه بها ، وإلى القصيدة التى أنشدها بين يديه - لم يستهوك شعرها ، ولم تطرب له ، بل لاتكاد تصدق أنها من شعر أبى العتاهية ، ولكن قريحته لم تبق جامدة حين أراد أن يقرض فى الهادى شعرا ، بل لانت وسلست ، فمدحه وهناه ، وصحبه وحظى عنده ، حتى إنه عندما مات الهادى . وطلب إليه الرشيد أن يقول شعرا ، امتنع ، فحبسه الرشيد ، وبقى فى الحبس مدة .

٭٭٭

إلى الوقت الذى اتصل فيه أبو العتاهية بالرشيد لم يبن لنا أنه صاحب مذهب دينى خاص ، ولم نعرف أنه لبس مسوح الزاهدين ، ولكنه شاعر يتكسب بشعره ، فتروج سوقه ، ويربح مالا كثيرا يكتنزه ، ويحرص عليه حرص الجبان على روحه ، بدأ بعد ذلك ينحو نحوا جديدا فى شعره ، وحديثه لجلسائه ، ونظام حياته : بدأ يذكر الله والموت ، ويذم الدنيا ، ويبغضها إلى الناس ، ويعجب من تهافتهم عليها ، وتكالبهم على نعيمها ، ويصفهم بالغفلة والغرور ، وينسب كل شىء إلى الله . واعتنق مذهب الجبرية ، الذين ينفون الفعل حقيقة عن العبد ، ويضيفونه إلى الرب (١) ، وكان هذا المذهب قد ظهر فى أواخر أيام بنى أمية ، واعتنقه بعض الناس .

والذى يبدو لنا أن أخلاق أبى العتاهية ، لم تخرج عن أخلاق كثير من الشعراء فى زمانه ، وفى غير زمانه ، فهم فيما أعتقد قوم لايثبتون على مبدإ ، ولايقيمون على شىء واحد ، فحبهم ، وبغضهم ، وولاؤهم وعدم ولائهم ، لايستقر ، وإنما يلبسون لكل حالة لبوسها ، ويسيرون فى ركاب من يظنون أن الخير آتيهم منه ، ومن يرون أن الدنيا أقبلت عليه ، فاذا ولت عنه الدنيا ، ولوا عنه على إثرها ،

(١) راجع كتاب الملل والنحل ج ٢ ص ١٠٨ .

لايتذممون ولايتلومون . وأبو العتاهية واحد من هؤلاء الشعراء ، طينته من طينتهم ، وخلقه من خلقهم ، فهو لم يثبت فى نسبه ، ولا فى خُلقه ، ولا فى مذهبه ، وساعده على ذلك طبع فيه ، فانه كان يحب الشهرة والمجون والعته . أما فى نسبه ، فانه ادعى أنه عنزى بالنسب تارة ، وبالولاء تارة أخرى ، وما زال بالعنزيين حتى التصق بهم واستعداهم يوما على جزار عيره بأنه نبطى وقال لهم : إن فلانا الجزار قتلنى وضربنى ، وزعم أنى نبطى ، فان كنت نبطيا هربت على وجهى ، وإلا فقوموا فخذوا لى بحقى ، فقام معه مندل بن على وماتعلق نعله غضبا ، وقال له : والله لوكان حقك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه ، ومر معه حافيا حتى أخذ له بحقه

هذا الذى آلمه أن ينسب إلى أهل النبط ، والذى استعدى العنزيين على من نفى نسبه عنهم ، والذى جامله العنزيون ، فأدالوا له من صاحبه ، والذى كان للعنزيين عنده المقام الأول ، وكان لايمكنه الخلاف على مندل بن على وأخيه حيان العنزيين الفقيهين ، وقد كانا من أشراف الكوفة ، فهما نفاعان ضراران - هذا الرجل عاوده الخلق الغالب على الشعراء حينما هاجر من الكوفة إلى بغداد حيث ترك عنزة والعنزيين ، وأصبح لايرجو نفعهم ، ولايخشى بأسهم ، فخلع نسبه إليهم وتبرأ منهم ، ولبس فى نسبه ثوبا جديدا ، ذلك هو نسب اليمانية ، لأنه قدم على بغداد غريبا ، وأراد أن يتقرب من الخليفة ، ولكنه لايستطيع أن يدعى أنه من نسبه لأبيه ، فاتصل بخال الخليفة المهدى وهو يزيد بن منصور ، لأنه عرف أنه لطيف المحل عند ابن أخته ، فهو يقدمه إليه ، ويقربه منه ، ويشفع له إذا احتاج إلى شفاعة ، ويزكيه عند توزيع العطايا على الشعراء . ولم يكتف بالاتصال بيزيد ابن منصور ، فانه ألحق به نفسه ، وألصق نسبه ، وادعى أنه مولى من موالى اليمنيين ، وانتفى من عنزة وتبرأ منهم ، ومدح اليمانية ، ومن ذلك قوله

سُقيت الغيث ياقصر السلام ... فنعم مَحِلَّة الملك الهمام
لقد نشر الإله عليك نورا ... وحفك بالملائكة الكرام
سأشكر نعمة المهدى حتى ... تدور علىَّ دائرة الحمام
له بيتان : بيت تُبَّعِيٌّ ... وبيت حلَّ بالبلد الحرام

وكان يزيد هذا من أكرم الناس وأحفظهم لحرمة ، وأرعاهم لعهد ، وكان بارا بأبي العتاهية ، كثيرا فضله عليه ، وكان أبو العتاهية منه فى منعة وحصن حصين مع كثرة مايدفعه إليه ، ويمنعه من المكاره

ومع أنه أحس فقده فى ماله وفى نسبه ، ووجده فى شعره وفى بشره ، كما قال هو عندما رثاه ، وفى أنه ساء من أجله منظره ومخبره - فانه لم يقم على ولائه له ، ولم يبق يمانيا ينتسب لليمانية ، ويفخر بهم ، كما كان يفعل من قبل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ذلك شيء احتجنا إليه فى ذلك الزمن ، ومافى واحد ممن انتميت إليه خير ولكن الحق أحق أن يتبع ، وكان ادعى ولاء اللخميين - من ذلك تعلم أنه كان ينتسب إلى من يجد الخير فيهم ، ويتلمس المنفعة من ورائهم ، فاذا قضى منهم غايته أو انقطع أمله فيهم فلم يدر درهم عليه ، ولم تهطل سحائبهم فى جيوبه ذهبا ودرا ؛ انتفى منهم ، وألحق نسبه بغيرهم ، فهو فى الكوفة عنزى ، وفى بغداد يمانى أو لخمى :

☆☆☆

هذا الذى جرى عليه أبو العتاهية فى نسبه ، هو بعينه الذى جرى عليه فى مذهبه ، أما فى الكوفة فاننا لانستطيع أن نحدد له مذهبا خاصا كما قدمنا ، ولاسيما أن أكثر شعره هناك ضاع ، ولم يصل إلينا منه إلا القليل جدا ، فهو لا يصور لنا حياته هناك أوضح التصوير ، وإن كان يغلب عليه الانخناث والمجون والتعته كما ذكرنا - وهو فى بغداد جرى غالبا على ماجرى عليه فى الكوفة حتى زمن الرشيد ، فانه أراد أن يتزهد ويتنسك ويخرج من حالة المجون والمرح إلى حالة أخرى هى منها فى النقيض ؛ صور من نفسه رجلا متزهدا متقشفا ، يلبس الصوف ؛ ويترك المنادمة ، ويجانب شعر الغزل ، ويباعد بينه وبين حياة المجون ، حتى إن الرشيد ، ولى نعمته فى عصره ، ومقدمه على كثير من الشعراء ، طلب إليه يوما بعد إعلان تنسكه للناس أن يقول شعرا فى الغزل ، فأبى ، فوجد عليه ، فضربه ستين عصا وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا فى الغزل ؛ ويظهر أن هذه كانت نوبة من نوبات تعتهه ، فانه خالف سيده ، ولم يأبه بغضبه ، ولم يردعه عقابه ، بل قال وقد رفعت عنه المقارع : كل مملوك له حر ، وامرأته طالق ، إن تكلم سنة إلا بالقرءان ،

او بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولعل عناده هذا ، وصلابة رأيه امام الخليفة ـ هو الذى جعل الخليفة يتحزن منه ويأمر بحبسه ، ومع ذلك فهو غير حانق عليه ، ولا غير آمل فى رضاه ، فلم يشأ تعذيبه فى السجن ، ولم يحل بينه وبين من يريد الدخول عليه ، فقد يكون من هؤلاء من يصلحه ، ويرده إلى طاعة الخليفة . وقد كان من قبل لا يفارقه فى سفر ولا حضر إلا فى طريق الحج ؛ فوسط الفضل بن الربيع بينه وبين الخليفة ، وكتب إليه بعد ان استبطأ رجاءه :

أجفوتنى فيمن جفانى وجعلت شأنك غير شانى ؟
ولطالما أمنتنى مما أرى كل الأمان
حتى إذا انقلب الزمان على صرت مع الزمان

وكتب إلى الرشيد ، يترضاه ويستعطفه :

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر يروح على الهم منكم ويبكر
تذكر أمين الله حقى وحرمتى وما كنت توليني لعلك تذكر
ليالى تدنى منك بالقرب مجلسى ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة إلى بها فى سالف الدهر تنظر !

فلم يحفل الرشيد بقوله ، ولما ضاق صدره ، وسئمت نفسه بيتا صغيرا هو خمسة أشبار فى مثلها ، صاح :

أرقت وطار عن عينى النعاس ونام السامرون ولم يواسوا
أمين الله ، أمنك خير أمن ، عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل بر ، وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه راس
أمين الله ، ان الحبس باس وقد أرسلت : ليس عليك باس

وله شعر كثير فى الحبس يستعطف به الرشيد فلم يعطف عليه ، حتى عاد إلى الشعر الغزلى ، وحنث فى يمينه كما تؤكد أكثر الروايات ، وإحداها مروية عن ابنه محمد ؛ ومما قاله وهو محبوس :

يا ابن عم النبى سمعا وطاعه قد خلعنا الكساء والدراعه
ورجعنا إلى الصناعة لما كان سخط الامام ترك الصناعه (١)

وقال أيضا :

أما رحمتنى يوم ولت فأسرعت وقد تركتنى واقفا أتلفت
أقلب طرفى كى أراها فلا أرى وأحلب عينى درها وأصوت

فلم يزل الرشيد متوانيا فى إخراجه إلى أن قال :

أما والله إن الظلم لوم وما زال المسىء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم
لأمر ما تصرفت الليالى وأمر ما تُوليت النجوم
تموت غدا وأنت قرير عين من الغفلات فى لجج تعوم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنيــــة يانؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد فى دار المنايا وكم قد رام غيرك ما تروم
ألا يأيها الملك المرجى عليه نواهض الدنيا تحوم
أقلنى زلة لم أجر منها إلى لوم وما مثلى ملوم
وخلصنى تخلص يوم بعث إذا للناس بُرزت الجحيم

وبعد أن خرج وقف أمام الرشيد وأنشده :

يا عتب سيدتى أمالك دين ! حتى متى قلبى لديك رهين !
وأنا الذلول لكل ما حملتنى وأنا الشقى البائس المسكين
وأنا الغداة لكل باك مسعد ولكل صب صاحب وخدين
لا بأس ، إن لذاك عندى راحة للصب أن يلقى الحزين حزين
يا عتب أين أفر منك ! أميرتى وعلى حصن من هواك حصين ؟

---

(١) وقيل : إن هذين البيتين ليسا لأبى العتاهية ، ولكنهما لاسحاق بن ابراهيم الموصلى حينما أظهر التوبة ، وغير زيه واحتجر عن حضور دار السلطان فبلغه أن المأمون وجد عليه من ذلك وتنكر ، فكتبهما إليه ، ثم غنى فيهما - الأغانى ج ٥ ص ٣٥٤

فأبو العتاهية يتزهد، ويلبس الصوف، فاذا ضيق عليه خلع صوفه، ولبس لبوسه الأول، وقرض الشعر فى الغزل، ولو أنه كان فعل ذلك عن عقيده راسخة يطمئن إليها قلبه، لما بالى خشونة العيش، ومرارة الحبس.

ولقد قرأت أن كثيرا من الناس عذبوا ليبدوا رأيا غير ما يعتقدون، فلم يفعلوا، وقد أدى ذلك إلى تعذيبهم، وتشديد النكير عليهم، بل إلى إتلاف أنفسهم، ومع ذلك فهم على مذاهبهم باقون ثابتون. أما أبو العتاهية فانه تزهد لا حباً فى التزهد. ولكنه رجل شاعر سلك بشعره هذا المسلك؛ لأنه زعم أن له خيرا فيه. رووا عنه أنه قال: «إن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر، ولا طلاب الغريب، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد، وأصحاب الحديث، والفقهاء، وأصحاب الرياء، والعامة، وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه»، فهو يستحسن مذهب الزهاد فى الشعر، ولذلك سلكه، وهو يقرر أنه ليس من مذاهب الملوك، ولا من مذاهب الرواة، وأن أشغف الناس بهذا اللون من الشعر، إنما هم الزهاد أنفسهم، وأهل التقى والورع والمراءون، فهو أراد أن ينشر شعراً من هذا النوع ليرضى الزهاد، وأهل التقى والورع. لا لأنه زاهد وتقى وورع، فلما رأى أن فيه تضييقاً عليه، وإغضاباً للخليفة، لم يقتصر عليه، بل قاله مع غيره مما يحب الخليفة ويهوى. ولست مؤمنا بأن ما قاله فى الزهد كان أكثر مما قاله فى غيره، وأن ما وصل إلينا من شعره أكثر من تسعة أعشاره فى زهدياته، لأنه إنما أظهر زهده فى زمن الرشيد، أى بعد أن ملأ الكوفة غزلا ومدحا وهجاء وبعد أن ملأ بغداد زمن المهدى والهادى وصدر خلافة الرشيد، بمثل ذلك. وأخباره مع عتبة جارية المهدى مذكورة مشهورة، فأين كل هذا الشعر؟ إنه قد ضاع. وذكر صاحب الفهرست أنه رأى من شعره بالموصل نيفا وعشرين جزءاً بخط ابن عمار كاتب شعر المحدثين، وذكر أن ما رآه يدل على أنه من ثلاثين جزءاً (١). ويظهر أنه اهتم فى أيامه

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٧

الأخيرة بقرض الشعر فى الزهد مع غيره ، ولكنه كان أحرص وأبقى على زهدياته منه على غزلياته ، وقصائد مجونه ؛ أو أن شعره فى الزهد وقع لجماعة من المجبرة ، ووجدوا فيه قوة لهم فنقلوه وتداولوه ، فوصل هو دون غيره .

والشاعر إذا كان مرائياً ينظم فى غير ما يعتقد ، فانه يخونه حرصه أحيانا فيبدر منه ما ينم عن حقيقته . وأبو العتاهية كان يظهر الزهد ، ويبالغ فى ذلك ويكثر من شعر الزهاد ، ويذكر دائما الدنيا وبلاءها ، والموت الذى لا بد أن ينتهى إليه كل آدمى ، إلا أن الانخناث كان يعاوده أحياناً ، فيشهر به أعداؤه ، ويحاولون إثارة سخط العامة عليه ، وكان من هؤلاء منصور بن عمار الذى رماه بالزندقة لحاجة فى نفسه ، فانه قيل : إن منصوراً هذا لما قص على الناس خبر البعوضة ، قال أبو العتاهية : « إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفى » فبلغ قوله منصورا ، فقال : « أبو العتاهية زنديق ، أما ترونه لا يذكر فى شعره الجنة ولا النار ، وإنما يذكر الموت فقط » ، فبلغ ذلك أبا العتاهية ، فقال فيه :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
كالملبس الثوب من عرى وعورته للناس بادية ما إن يواريها
فأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه فى كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

كما شفع عليه بقوله فى عتبة :

كأن عتابة من حسنها دمية قس فتنت قسها
يا رب لو أنسيتنيها بما فى جنة الفردوس لم أنسها

والحق أن منصور بن عامر لم ينصف أبا العتاهية بأنه رماه بعدم ذكر الجنة والنار فى شعره — وقد جاراه فى ذلك كثير من العلماء من بعده — لأن أبا العتاهية ذكر ذلك فى مواضع كثيرة من شعره المذكور فى ديوانه ، ومن ذلك قوله :

فلو كان هول الموت لاشىء بعده لهان علينا الأمر واحتقر الأمر

ولكنه حشر ونشر وجنة ، ونار وما قد يستطيل به الخبر(١)

وقوله :

أيها ذا النـاس ماحل بكم عجبـا من سهوكم كل العجب
وسقام ثم موت نازل ثم قبر ونزول وجلب
وحسـاب وكتاب حافظ ومـوازين ونار تلتهب
وصراط من يقع عن حده فالى خزى طويل ونصب

ولئن كان أبو العتاهيـة زنديقاً حقاً ، إنه ما كان يستطيع أن يظهر ذلك وخلفاء المسلمين أولياء نعمته ، ومقدموه فى مجـالسهم ، ومحبو شعره ، ومانحوه جوائزهم ؛ ولو كان زنديقاً حقاً ، لما حال بينه وبين أن يعمل ما يريد إذا خلا إلى نفسه ، وأمن الوشاة وعيون الخليفة . والذى قرأناه من ذلك أن أبا العتاهية كان يقنت فى الليل ، ولقد رأته امرأة ليلة ، فروت عنه أنه يكلم القمر ، واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها ، وبات ، وأشرف على أبى العتاهية ، ورآه يصلى ، ولم يزل يرقبه حتى قنت وانصرف إلى مضجعه ، وانصرف حمدويه خاسئا .

يتبين من هذا أن الحديث عن زندقته فيه وهن وضعف . بقى أن نعرض أنه كان جبريا ؛ ولعل هذا هو الذى اشتهر عنه ، إذ لولا ذلك لما وقعت له مناظرات مع زعماء المعتزلة فى عصره ، ومنهم بشر بن المعتمر ، وثمامة بن الأشرس ، وهو وإن كان قليل المعرفة ، ضعيف الحجة ، غير متفقه فى مسائل النظر والجدل ؛ فانه كان لسان المجبرة الشاعر ، لا لسانهم المناظر ، ولهذا كان يفحمه مناظره متى وقعت بينهما المناظرة ، ويعيره بأنه شاعر لاشأن له بالجدل(٢) — وأبو العتاهية حينما تزهد ، احترف الحجامة ، فقابله يوما بشر بن المعتمر ؛ وقال له : بلغنى

---

(١) تراجع صفحات الديوان ٣ ، ٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٤

(٢) راجع مناظرته لثمامة بين يدى المامون : الأغانى جـ ٤ ص ٦

انك لما نسكت جلست تحجم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال : نعم قال له : فما أردت بذلك ؟ قال : أردت أن أضع من نفسى حسبما رفعتنى الدنيا وأضع منها ليسقط عنها الكبر ، وأكتسب بما فعلته الثواب ، وكنت أحجم اليتامى والفقراء خاصة ، فقال له بشر : دعنى من تذليلك نفسك بالحجامة ، فانه ليس بحجة لك أن تؤدبها وتصحها ، بما لعلك تفسد به أمر غيرك ، أحب أن تخبرنى هل كنت تعرف الوقت الذى كان يحتاج فيه من تحجمه إلى إخراج الدم ؟ قال : لا قال : هل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كل واحد منهم إلى أن يخرجه على قدر طبعه مما إذا زادت فيه أو نقصت منه ضر المحجوم ؟ قال : لا ، قال : فما أراك إلا أردت أن تتعلم الحجامة على أقفاء اليتامى والمساكين

وسئل يوما عن خلق القرآن ؛ فقال : أسألتنى عن الله أم عن غير الله ؟ ؛ فقال له السائل : عن غير الله ، فأمسك ، فأعاد عليه السؤال ، فأجابه ابو العتاهية هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مرارا ، فقال له السائل : ما لك لا تجيبنى ؟ قال : أجبتك ولكنك حمار

فأبو العتاهية شاعر أجاد القول فى الغزل والمدح والهجاء ، أولا ، ثم تزهد فأجاد القول فى الزهد وما يتصل به من ذم الناس وتقبيح الدنيا ، والدعاء إلى عدم الاكتراث بها ، ولكن شعره فى زهده لا يمثل حقيقة نفسه ؛ كما أن شعره فى المال والدعوة إلى عدم العناية بحفظه ، والتكالب على جمعه — لا يمثل خلقه ، فهو من أبخل الناس الذين حفظ لنا التاريخ نوادر بخلهم ، وأما أن شعره قوى فى هذا وذاك فلأنه شاعر مطبوع قدير . ينكر أبو نواس على نفسه أنه أشعر الناس والشيخ حى (يريد أبا العتاهية) ، ويغضب ابن الأعرابى على من يذم شعره ، ويقسم أنه ما رأى شاعرا قط أطبع ولا أقدر منه ، ويقرر أنه ما يحسب مذهبه فى الشعر إلا ضربا من السحر ، وهو الذى يقول عن نفسه ، إنه ما أراد الشعر قط إلا مثل له ، فيقول ما يريد ويترك ما لا يريد ، وهو الذى يرى جعفر بن يحيى أنه أشعر الناس فى عصره ، فيوافقه الفراء ، بل كان الناس يزيدون لشدة أعجابهم ، ويزعمون أنه أشعر الانس والجن مبالغة فى تقديرهم له ؛ وشاعر هذا أمره ، يقول فى الزهد

فيجيد ، وقد يكون من أبعد الناس عن الزهد ؛ ويشعر فى الجود والكرم ويجيد ، وهو أبخل أهل عصره — جدير بأن يقول الناس عنه ماقالوا . ومهما يكن من أمر أبى العتاهية ، فان سلوكه مسلك النساك ، ومحاولته الظهور بمظهر الزهاد ، غيَّر نسج شعره كثيرا ، وألبسه ثوباً جديداً ، غير الذى كان يلبسه من قبل ، ولعل ذلك أكثر ما يكون وضوحا فى قائد الرثاء ، لأنها ألصق فنون الشعر بالتزهد ، وفيها المظهر لمذهب الشاعر ونزعته التى ينزع إليها ؛ اقرأ قوله يرثى زائدة ابن معن بن زائدة وهو يومئذ بالكوفة، أى أنه ما كان يعرف طريق الزهاد بعد .

حزنت لمـوت زائدة بن معن حقيق أن يطول عليـه حزنى

فتى الفتيـان زائدة المصفى أبو العباس كان أخى وخدنى

فتى قوم وأى فتى توارت به الأجفان تحت ثرى وكِبْن

ألا يا قـبر زائدة بن معن دعوتك كى تجيب فـلم تجبنى

سـل الأيام عن أركان قوم أصبن بهن ركنا بعـد ركن

فهو يحزن لفقد زائدة ، ويطيل عليه حزنه ، ويذكر بعضا من صفاته ، ثم يناجى قبره ؛ وهذا المنحى ، معروف فى الرثاء ، يسلكه أكثر الشعراء . ثم اقرأ قوله عند أول عهده ببغداد ، يرثى يزيد بن منصور خال المهدى ، وكان بارا بأبى العتاهية كثيرا فضله عليه . وكان أبو العتاهية فى منعة وحصن حصين ، مع كثرة ما يدفعه إليه ، ويمنعه من المكاره ، كما تقدم . فلما مات قال أبو العتاهية يرثيه :

أنعى يزيد بن منصور إلى البشر أنعى يزيد لأهلى البدو والحضر

ياساكن الحفرة المهجور ساكنها بعد المقاصر والأبواب والحجر

وجدت فقدك فى مالى وفى نشبى وجدت فقدك فى شعرى وفى بشرى

فلست أدرى جزاك الله صالحة أمنظرى اليوم أسوا فيك أم خبرى

فهو لا يرثى يزيد أكثر مما رثى به زائدة فى الكوفة: ينعاه ، ويندبه ، ويندب فجيعته فيه بعد موته ، ويحس فقده فى عوارفه وأفضاله التى كان يسبغها عليه.

ثم هو بعد ذلك يرثى ابنه المهدى فيقول :

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما وكل غصن جديد فيهما بالى
يامن سلا عن حبيب بعد ميته كم بعد موتك أيضاً عنك من سالى
كأن كل نعيم أنت ذائقه من لذة العيش يحكى لمعة الآلى
لا تلعبن بك الدنيا وأنت ترى ما شئت من عبر فيها وأمثال
ما حيلة الموت إلا كل صالحة أو لا فما حيلة فيه لمحتال

فهو فى هذا ليس راثيا ، ولكنه بالوعاظ وخطباء المنابر أشبه

***

وخلاصة القول فى أبى العتاهية أنه :

ما كان زنديقاً ، وما أظهر الزندقة ، وما فعل فعل المتزندقين ؛ وما كان لرجل هو نديم الخلفاء وسميرهم ، والمقرب إليهم ، أن يتزندق فى رحابهم — وكذلك ما كان زاهداً ، وما كان شعره فى الزهد لله وفى الله . ولكنه طريق سلكه فى شعره ، لاظهار الحسرة والأسى على حبيبته عتبه التى ملأ الدنيا شعراً فى التشبيب بها . وإظهار حبه لها ، وهى تتمنع عليه ، وتنفر منه ؛ فرق له الرشيد ، لأنه تجرأ وأكثر مسألته فيها فوعده بتزويجها إياه إن أجابت ، فلما فاتحها فى ذلك الرشيد اعتذرت ، وقالت : إنى حلفت لأبيك بكل يمين يحلفها بر وفاجر ، وبالمشى إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عنى حجة وجبت على أخرى ، لا أقتصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصرفت به إلا ما أصلى فيه . وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها وانصرف عنها وأخبر أبا العتاهية الخبر ، فمكث مليا لا يدرى أين هو ، أقاعد أم قائم (١) . ويئس بعد أن ردت الخليفة ، وعلم انها لا تجيب أحداً بعده أبداً ، فلبس الصوف وقال :

قطعت منها حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالى

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ٢

ووجدت برد اليأس بين جوانحي   فغنيت عن حل وعن ترحال

وقيل إن سبب حبسه قوله :

ألا إن ظبياً للخليفة صادني   ومالي عن ظبي الخليفة من عذر

فلم لا ينشد أبو العتاهية شعراً في الزهد وبغض الدنيا ، وقد قطعت حبائل آماله في أحب الناس إليه ؛ وإنما هو شعر ما كان لله وفي الله كما قلت ، ولكنه أنشد يسري عن نفسه لوعة الحزن ، ويفرج كربة الهم التي انتابته من أجل عتبة .

ولو أنه كان مجبرا حقا لما نعى على العلماء اختلافهم ، وبكتهم على كثرة مؤاخذة بعضهم بعضاً ، قال :

بكى شجوه الاسلام من علمائه   فما اكترثوا مما رأوا من بكائه

فأكثرهم مستقبح لصواب من   يخالفه مستحسن لخطائه

فأيهم المرجوُّ فيها لدينه ؟   وأيهم الموثوق فينا برأيه ؟

ثم ماذا فعل المشيب برجل يكره الدنيا حتى يحن إلى شبابه ، أفيكون الحنين الى الشباب من فعل الزهاد ؟ اقرأ قوله :

بكيت على الشباب بدمع عيني   فلم يغن البكاء ولا النحيب

فيا أسفا بكيت على شباب   نعاه الشيب والرأس الخضيب

عريت من الشباب وكنت غصناً   كما يعرى من الورق القضيب

ألا ليت الشباب يعود يوما   فأخبره بما فعل المشيب

رحم الله ابا العتاهية ! لقد لبّس على الناس بشعره . فنسجوا حوله كلاما كثيرا وما هو من حيث دينه إلا رجل كعامة الناس ، وإن كان من حيث شعره بين الناصية والذؤابة .

محمد أحمد برانق

تحية البعثة المغربية

للأستاذ محمود على البشبيشى

المدرس بالمدرسة الخديوية

قام يشدو بأطيب الألحان   في ظلال الرياض والأغصان

شاعر تعرف الخميلة نجواه (م) على فرع غصنها الريان

إن شدا أرهفت مسامعها الدنيا (م) وغنى بلحنه المشرقان

كان بالأمس يرتئى الشدو هذرا   في خضم يموج بالأشجان

قد طواه الشتاء حين طوى الروض (م) وولى بزهره الفينان

ما الذى أيقظ المغرد للشدو (م) وعهدى به عزيز الأغانى ؟

ما الذى أيقظ المغرد للشدو (م) فغنى بلحنه الفنان ؟

غمر النفس والحياة ربيع   هل رأيت الربيع قبل الأوان ؟!

وربيع النفوس أبلغ معنى   من ربيع النجاد والوديان !

لاح من جانب المغارب نور   فيه عزم الشباب من (تطوان)

بلد الدين والعروبة والفضل (م) ومهد الأشاوس الشجعان

بلد يسبق الزمان خلوداً   سطعت آيه بفجر الزمان

يجد المجد فى ذراه أماناً   وارف الظل ، فيه كل الأمانى

***

مرحباً بالشباب أقبل يجنى   من ربى مصر يافع العرفان

قد أعاد الشباب للغرب مجـداً فأعاد الحياة للأبدان
وهـداهم إلى الرشاد شيوخ ثقفتهم حوادث الأزمان
ورعاهم متوَّج علوى نهلت نفسه من العـرفان

***

يا رعى الله محفـلا أنا فيه بين عزم وحـكمة وبيان
ذاك حفل الوفاء فيه من الزهر (م) نقاء الضـمير والوجـدان
ذاك حفل الوفاء يجتمع اليوم (م) على موثق من الايمان
قد سرى النبل والمجـادة فيـه سريان المياه فى العيـدان

***

كرمُ النيل والطموحُ من الغرب (م) بظل (الفاروق) يلتقيان
يابنى الغرب والأماني عذاب نحن فى المجـد والعلا أخوان

محمود على البشبيشى

بمناسبة التدريب العسكرى فى المدارس

النشيد العسكرى

للأستاذ سلامة الجمل

« عاش الملك يحيا الملك »

الحقُّ بالسيفِ اعتصمْ والأُفْق بالخطب ادلَهمْ

والليثُ من خلف الأجمْ إن أقبل الليل هجمْ

لسنا حماة النيل إن لم نحمه من كل عادْ

لسنا عمادَ الجيل إن لم نفده يوم الجلادْ

لا نستكينُ للقدرْ لا نستنيمُ للخطرْ

الحرب وافت بالنُّذرْ والموت مامنه مفرّْ

نعبىء الكتائب الحمراءَ لليوم العصيبْ

كل فتاة وفتى منا إلى الداعى مجيبْ

نمضى كموج البحرِ فى عزْمة كالصخرِ

لنا ابتسام الزهرِ للموت أو للنصرِ

يامصر ها نحن فداءٌ لك إن جل الفداءْ

نحن وقود لِلَظى الحرب إذا حم القضاءْ

قائدُ مصر الأعظمُ يدعوكمو : تقدَّموا

هيا اهتفوا ، ترَنموا : عاش الملك ، يحيا الملك

الشعـــــر

على حسب منهج السنة التوجيهية

للأستاذ عبد الستار سلام

المدرس الأول بمدرسة أسيوط الثانوية للبنات

تعريفه ونشأته :

المؤثرات التي تعمل في رقيه وانحطاطه :

أنواعه :

١ — طريقة تقسيمه عند العرب إلى فنونه المختلفة من وصف ومديح وهجاء . . . . الخ .

ب — طريقة تقسيم الشعر عند الفرنجة إلى قصصي وغنائي وتمثيلي .

تعريفه :

عرف الأدباء الشعر بأنه الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر عن صور الخيال البديع فلا بد فيه من الوزن والقافية أولا ، و إثارته للعواطف ثانيا .

فاذا اشتمل على الوزن والقافية ولم ينبعث عن عاطفة كان نظما لا شعراً كما في الكتب المنظومة في النحو وغيره من العلوم ، و كما في أبيات الحكم والمواعظ والأمثال .

ولما كان أغلب مادة الشعر الخيال أطلق بعض العرب لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالا ولو لم يكن موزونا مقفى .

ومن هنا أطلق بعض علماء الأدب عندنا لفظ الشعر المنثور على النثر المسجوع

المعتمد على الخيال مثل مقامات الهمذانى والحريرى ورسائل القاضى الفاضل ونحوها .

ولكن الصواب هو ما ذهبنا إليه أولا من ضرورة اشتماله على الوزن والقافية واعتماده على إثارة المشاعر وتحريك العواطف .

ويقرب من هذا ما ذهب إليه ابن خلدون فى تعريفه ، فقد قال : « الشعر هو الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به . »

ونظرا لاعتماد الشعر على الخيال الرائع والوزن الذى يشبه النغم فى الموسيقى كان تأثيره فى النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور بسطا وقبضاً وترغيباً وترهيباً لا من قبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة والبرهان المنطقى

ولذلك يجمل أثره فى تصوير أحوال النفس وإثارة عواطفها لا فى الحقائق العلمية ولا المسائل النظرية

والأوزان الشعرية التى هى سر تأثير الشعر فى النفس واستيلائه على المدارك والمشاعر تسمى بحورا وهى ستة عشر بحرا صب فيها الشعر العربى تقريبا ، وهى تختلف طولا وقصرا وتسمى أجزاؤها بالتفاعيل .

وللشعر خصائص تميزه عن النثر ؛ منها :

(١) أوزانه وقوافيه

(٢) لغته ، فللشعر لغة تخالف لغة النثر وألفاظ يصرف الشاعر كثيرا من الجهود فى اختيارها وتفضيلها على غيرها لانها أشد تأثيرا فى النفس ولأنه يختارها مناسبة لقوالب خاصة يصب شعره فيها وقد يكون اللفظ فى النثر حسناً ولكنه لا يحسن فى

الشعر ، ويتفـاوت الشعراء فى المقدرة على الافصاح والإبانة واختيار الألفاظ والتراكيب ، ومن هنا كان من غير الممكن ترجمة الشعر إلى شعر ؛لأن الترجمة تذهب بما للشاعر من القدرة الفنية وطريقة الأداء،والذى يترجم هو المعنى فقط وماشتمل عليه من الخيال .

(٣) الشعر يخاطب العواطف بما عند الشاعر من كياسة ومهارة .

(٤) الشعر مرآة كل عصر ، فهو ديوان تسجل الأمم فيه حياتها وأفكارها وعواطفها .

(٥) الخيال الرائع الذى يملك على الانسان مشاعره وحواسه .

(٦) طول بقائه على أفواه الرواة وامتداد الزمن الطويل به؛وذلك لارتباط أجزائه بعضها ببعض .

(٧) استفاضته فى الناس،وبعد سيره فى الآفاق،وهو مع ذلك نظير الأمثال.

(٨) أنه يرفع الوضيع و يحط الرفيع،وليس ذلك من شأن الخطب أو الرسائل.

(٩) ليس شىء يقوم مقامه فى المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة ، إذا أنشد على رءوس الأشهاد ، كما لا يفوز أحد من مؤلفى الكلام بما يفوز به الشعراء من العطايا والمغانم .

(١٠) إن ألفاظ اللغة إنما يؤخذ جزلها وفصيحها من الشعر ، وكذلك الشواهد إنما تنتزع منه،وهو ديوان العرب ، وسجل أحسابها وأنسابها وأيامها ، ومستودع علومها وخزانة حكمتها ، فالحاجة إليه شديدة .

(١١) أن مجالس الشعراء والظرفاء لا تطيب إلا بإنشاد الأشعار ومذاكرة الأخبار ، أما مايشتمل عليه الشعر من الكذب والادعاء والمبالغة والخروج عن الحد الملائم فى المدح والذم فإنه لمن لم يكسبه عذوبة فانه لايضع من منزلته،لأن المراد حسن الكلام وجودة المعنى . . بدون نظر إلى أى اعتبار آخر :

وقد اختلف الفرنجة أيضا فى تعريف الشعر، فمنهم من عد الشعر كل كلام ينبىء عن العاطفة والخيال غير مشترط فيه وزناً ولا قافية.

ولقد قدمنا أن من العرب من يرى هذا الرأى، حتى أنهم اعتبروا القرآن الكريم شعراً، لما حواه من روعة، وخيال، وفخامة، وتأثير، ولئن كان قد اشتمل بعض آياته على الوزن والقافية، إلا أن ذلك غير مقصود.

وروايات شكسبير شاعر الانجليز الكبير الممتلئة بالشعور الصادق، والإحساس الفياض، والأخيلة الرائعة، والتصوير البديع الذى يهز النفوس ويلعب بالعقول، والتى تعتبر مفخرة الشعر الغربى كله، لا تخلو من الأبيات التى لا تتقيد بالوزن والقافية، وهى مع ذلك شعر راق من أعظم ما أنتجته القرائح البشرية.

على أن جمهرة الأدباء جروا على اشتراط الوزن والقافية مع الروعة والخيال، كما اشترط ذلك فى الأدب العربى سواء بسواء.

نشأة الشعر:

ربما كانت موسيقى الطبيعة الممثلة فى تغريد الأطيار، وخرير المياه، وهبوب الرياح وحفيف الأشجار، ونحو ذلك من الأصوات التى تسكن إليها النفس ويطمئن القلب- هى السبب الأول فى بحث الإنسان عن الكلام لذى يحاكى موسيقى الطبيعة فى حركاته وسكناته، ومقاطعه ومخارجه، حتى اهتدى إلى الشعر، وقد يؤيد ذلك أن الشعر نشأ عند اليونان ملازما للموسيقى لا يلقى إلا على نغماتها ونبرات إحدى آلاتها المعروفة فى ذلك العهد. وما زال الشعر ينشد موقعاً على النغمات الموسيقية حتى عهد الإسكندر، ثم أخذ يستقل بعد ذلك ويتحرر من ملازمته لها. ونهج الرومان منهج اليونان فى ذلك...

وقد يظن أن شأن العرب فى نشأة الشعر شأن اليونان، لتشابه كلتا الأمتين فى

أطوارهما الأولى، ولأن الطبيعة الساحرة كانت ولا تزال مبعث كثير من العلوم والفنون، ومستودع آيات الفن والجمال، والرهبة والجلال، مما يحرك المشاعر الخامدة، ويلهب العواطف الجامدة، ويدعو الشعراء إلى التعبير عن الطبيعة بالألفاظ والمعانى والأخيلة كما تعبر عنها الموسيقى بالألحان والانغام .

فالغناء والشعر من أصل واحد عند جميع الأمم، والشعر وضع أولا للتغنى به للآلهة أو الملوك أو الأبطال، ولا يزال اليونان والرومان حتى الآن يقولون : « غنى شعرا » ، والعرب يقولون « أنشد شعراً » أى غناه . وكان الشاعر العربي إذا لم يكن رخيم الصوت يقتنى غلاماً حسناً صوته، ينشد أشعاره فى مجالس الملوك والخلفاء، وكان لأعشى قبل الإسلام يتغنى بشعره عند إنشاده، فسمى لذلك « صناجة العرب » .

والمعروف أن الشعر أسبق فى الوجود من النثر الفنى ؛ لأن مادة الشعر ، الخيال ومادة النثر الفنى: المنطق والفكر ، والأمم الناشئة يسبق خيالها تفكيرها ، والطفل عاد يتخيل ثم يفكر ، وقد قلنا فيما سبق أن العرب لم يكن لهم فى الجاهلية نثر فنى ، بل كان لهم شعر رائع، وشأنهم فى ذلك شأن الأمم القديمة الأخرى كاليونان والرومان .

— أما النثر غير الفنى كلغة التخاطب ونحوها فهو سابق للشعر، ضرورة أن الشعر مقيد بوزن وقافية — أما النثر فهو خال من تلك القيود . . . ومن السهل النطق به .

ومن الباحثين من يقول أن أصل الشعر: السجع، لما فيه من معادلة الفقر، والتزام القافية ، والميل إلى التغنى به، فيظن أن متغنياً يسجع وقع له سجعتان متوازنتان وزناً سهلا (قيل إنه الرجز) فأعجبه ذلك ومضى فيه ، وتمت له قطعة من الشعر راقت من سمعها وحاكوه فيها، وتغنوا بها، فكان من ذلك المقطعات (وهى مادون القصيدة من الأبيات) والأراجيز الصغيرة يحدون الابل بها و يعددون المكارم. ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه أمامهم ، نوعوا الأوزان ، وأطالوا القوافى، وقصدوا القصيد .

وقد يكون الوزن فى الشعر مأخوذاً فى الأصل من توقيع سير الابل فى الصحراء ، وتقطيعه يوافق وقع خطاها، ويؤيد هذا الرأى أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الجمال: وهو الحداء فى اصطلاحهم ، وكأنه وضع لهذا الغرض، لأن العربى يقضى أكثر أوقاته ملازما جمله أو ناقته ، فمن ذلك ما وضع لتحدى به الابل إذا مشت الهوينى ومثاله :

دع المطايا تنسم الجنوبا إن لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قدفارقت حبيبا
ماحملت إلا فتى كئيباً يسر مما أعلنت نصيباً
لو ترك الشوق لنا قلوبا إذن لآثرنا بهن النيبا
إن الغريب يسعد الغريبا

***

وهذا الرجز يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوينى ، حتى أنك لوركبت ناقة ومشت بك الهوينى لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر نظما .

ومنه ماتحدى به إذا أريدت على الأسراع ومثاله :ـ

أعطيته ماسألا حكمته لو عدلا
قلبى به فى شغل لا مل ذاك الشغلا
قيده الحب كما قيد راع جملا

***

ويزعم العرب أن أول من قال الرجز مضر بن نزار، اذسقط عن جمل فانكسرت يده، فحملوه وهو يقول «وايداه وايداه» وكان من أحسن خلق الله صوتا، فأصغت الأبل اليه وجدت فى السير، فجعلت العرب مثالا لقوله «هايدا هايدا» يحدون بها الأبل.

ويرى آخرون أن منشأ الشعر عند العرب الرغبة فى التغنى بمكارمهم، قال ابن

رشيق فى العمدة « وكان الكلام كله منثورا، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الانجاد، وسمحائها الأجواد، لتهز نفوسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا، لأنهم شعروا به أي فطنوا له » .

جهل أولية الشعر :

لقد خفى علينا (كأكثر الأمم) مبدأ قول الشعر، وأول من قاله، بل لم يبلغنا شىء مما قيل منه فى العصور الغابرة والقرون الطويلة الخالية، حتى كان منتصف القرن الثانى قبل الهجرة فروي لنا منه قليل من كثير أدركه الرواة ودونوه قبل أن يبيد كما باد سلفه .

أما ما ينسب إلى آدم من الشعر وإلى إبليس والملائكة والجن وعاد وثمود وغيرها من العرب البائدة فهو حديث خرافة مدسوس على أهل الغفلة من الرواة، وذلك لركاكة عبارته، وسخافة معناه، ولأن لغة هؤلاء جميعا غير لغة مضر التى نظم بها هذا الشعر .

والشعر الذى صحت روايته منذ أواسط القرن الثانى قبل الهجرة ينتهى أقدم مطولاته إلى مهلهل بن ربيعة، وأقدم مقطعاته إلى نفر لعلهم لم يبعدوا عنه طويلا، مثل العنبر بن عمرو بن تميم وأبو دوَاد الأيادى . . . وغيرهما .

وقد قالوا إنه لم يكن لاوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته، وأن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا، وتبعه الشعراء مثل امرىء القيس وعلقمة ولبيد ممن أخرجوا لنا الشعر العربى فى صورته الحاضرة .

والمعقول أن تلك الصورة لم تولد كاملة، ولم تتشكل طفرة فى تنوع الأوزان وطول القوافى، وتعدد الأغراض، وتنوع الأساليب، وروعة الاستعارة، ودقة الكتابة على يد مهلهل وامرئ القيس ومعاصريهم. بل المحقق أن يكون هؤلاء قد سبقوا بآخرين نقلوا الشعر من السجع إلى الرجز، ومن المقطعات إلى القصائد، وقالوه فى غرض واحد، ثم فى أغراض شتى وهذبوه وجودوه قبل مهلهل ببضعة قرون . ويؤيد هذا قول امرىء

القيس في شعره :

عوجا على الطلل القديم لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن خذام

وقول عنترة :

هل غادر الشعراء من مُتَردَّم —

وقول زهير :

ما أرانا نقول إلا معارًا * أومعادا من لفظنا مكرورا

يشير الأول إلى أن ابن خِذام — وهورجل من طىء — بكى الديار قبله، ولم يرو لنا الرواة عنه شيئا، ويعد عنترة نفسه محدثا أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه، ويشير زهير إلى أن كثيرا من أقوال الشعراء مستعار ممن سبقهم .

ومع قصر عهد الشعر الجاهلى المروى لنا الذى لم يطل أجله أكثر من قرن ونصف قرن ، وموت كثير من الرواة فى الفتوح والمغازى الاسلامية ،فقد نقل إلينا منه مقدار عظيم : وقد قيل إن بعضهم كان يحفظ عشرات الألوف من قصائده وأراجيزه مما لم يؤثر عن أمة من الأمم القديمة «فيما نعلم» .

ولقد كان العرب مطبوعين على قول الشعر لما وهبهم الله من دقة الحس وسرعة الخاطر، وحضور البديهة، والقدرة على الارتجال، والحرية والاستقلال والأنفة والكبرياء .
هذا إلى بيئتهم التى تربى الخيال، وتفتق الأذهان، وترهف الحواس، وتحل عقدة اللسان فاتخذوا الشعر كما قال الجمحي «ديوان علمهم ، ومنتهي حكمتهم ، به يأخذون، وإليه يصيرون»

وكانت أميتهم سببا فى التأنق فى القول، والعناية بالحفظ، ومعاناة الرواية ،ووجدوا من اتساع اللغة ، ووفرة أساليبها الشعرية ، ومترادفاتها مايساعد على قول الشعر وانتظام القافية . .

والمعروف أن أقدم آداب الأمم الشعر، وبخاصة ماتعلق منه بالآلهة وصفاتهم ، وآثارهم وأعمالهم ، فمن الشعر القديم المهابهارته عند الهنود، والألياذة والاوذيسه عند اليونان، والانياذة عند اللاتين ، والمعلقات عند العرب .

وأشهر المعروف عند الشعوب الحديثة أغنية رولان عند الفرنسيين، وأورشليم عند الطليان، وقصيدة اسكندر عند الأسبان، ومنظومات شكسبير والفردوس الضائع، عند الأنكليز، والمسياذه عند الألمان.

المؤثرات التى تعمل فى رقى الشعر انحطاطه

تكلمنا فيما سبق على المؤثرات التى تعمل فى رقى الأدب وانحطاطه، سواء أكان نثرا أم نظما، ونزيد الآن أن للشعر مؤثرات خاصة تؤثر فيه رقيا وانحطاطا، وتقدما وتأخرا وقد لا يتأثر بها النثر تأثر الشعر فمن ذلك :

(٢) الأمية : فالأمم إذا كانت تجهل القراءة والكتابة اضطرتها حالتها تلك إلى تدوين مآثرها ومفاخرها، وأيامها وأنسابها ومواعظها، فى سجل شعرها، وديوان قصيدها، وللشعر من الروعة والجلال، والوزن والقافية، مايكفل له التنقل فى مختلف الأصقاع، والبقاء على الدهر. ويتبع ذلك العناية بالحفظ والرواية، والمبالغة فى التأنق والإجادة، ولا شك أن الشعر يجد مجال الرقى أمامه واسعاً، والرغبة فى العناية بالاجادة دائمة.

(٢) التكسب به : فان الشاعر إذا عرف أن شعره سبيل ممهدة لاتصاله بالملوك والامراء والوزراء والقواد ونيل الحظوة لديهم والظفر بالعطايا والهبات بالغ فى العناية بالشعر حتى ينال الرضا والاعجاب، وأن التاريخ ليحدثنا عن كثير من الشعراء الذين استأثر الخلفاء والملوك بمدحهم الرائعة وأشعارهم الجيدة، وأثابوهم عليها بالآلاف المؤلفة من الدراهم والدنانير، حتى كان ذلك سببا فى التنافس الشديد بين الشعراء، ومحاولة كل منهم أن يكون المقدم الذى يشار إليه بالبنان.

(٣) تشجيع الخلفاء والولاة : ويتبع التكسب بالشعر طبعا تشجيع الخلفاء والأمراء للشعراء بالصلات السنية والجوائز القيمة، وأحلال الشعراء محلا رفيعا من الخلفاء والأمراء ورجالات الدولة، كما كان يفعل الرشيد وسيف الدولة وخلفاء الفاطميين، وحينئذ تروج سوق الشعر، وتعلو منزلته، وينظر الشعب إلى الشعراء نظرة إكبار وإجلال، فيتسابق المتسابقون فى ميدانه ويجيدون ويبرزون.

(٤) الانقلابات السياسة والاجتماعية : وهى قاعدة تشمل طبائع البشر فى كل زمان ومكان، فالهنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية إلا بعد ما لاقوه من الحروب والنزاع فى أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال ، واليونان ما زالوا على الشعر القصصى وشعراؤهم قليلون، حتى قامت الفتن بينهم، وتحاربوا ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ منهم الشعراء الموسيقيون، وظل الزمان بعد تأسيس دولتهم مدة طويلة فى جمود أدبى حتى كانت حروبهم مع القرطاجنيين، فتفتحت قرائحهم، وظهر فيهم الشعر، وقضت أوروبا أجيالا طويلة وقرائح ابنائها خامدة، حتى كانت الحروب الصليبية، فظهرت بعدها مواهبهم فى الشعر، ونبغ فيهم أمثال شكسبير ودانتى وغيرهما . وترى أشعار الأمة فى نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب فان كانت هى الظافرة فيه كثر شعرها الحماسى والفخرى ، وأن كانت مغلوبة كان أكثر شعرها فى الرثاء، كما فعل اليهود بعد أسرهم فى بابل بمراثي أرمياء وغيره .

وشأن العرب فى نهضتهم قبل الاسلام مثل شئون جميع الأمم فإن حركة ستقلال عرب الحجاز عن اليمن ، والحروب التى نشأت بين عرب الشمال والجنوب، هاجت شاعريتهم ، وأيقظت ما فطروا عليه من عزة النفس وإباء الضيم ، فنبغ منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون ، لمدح الظافرين، أو وصف بسالتهم فارتقى الشعر ، وتنوعت أغراضه وفنونه ، وإن كان أكثره فى هذه النهضة خاصاً ابالحماسة والفخر .

(٥) النقد : فان النقد المبنى على النزاهة والرغبة فى تقدم الفن كفيل بأن يبصر الشاعر بمواطن الضعف فى قصيدته، فيستدرك ذلك فى قصائده التالية، ولقد كان بعض مجالس الخلفاء بمثابة منتديات لنقد الشع واستخلاص زبده ، وسبيلا إلى تقدمه وارتقائه ، وكذلك كان الشأن فى سوق عكاظ ومجنة ومربد البصرة ونحوها .

(٦) تقدم العـــلوم والفنون والحضارة : فإذا تقدم العلم وازدهر، وارتقت المعارف، وانتشرت الحضارة ، تقدمت الآداب والفنون وفى مقدمتها الشعر ،

ومن يتتبع أطواره المختلفة فى العهود المتباينة يجد أن الشعر يسير مع الحضارة والحركة العلمية جنبا إلى جنب ، ففى الدولة العباسية حصفت معانيه، وارتقت أخيلته ، ورقا أساوبه ، وفى عهد العثمانيين طرأ عليه ما طرأ على الحركة العلمية من كساد وخمود ... واستمر كذلك حتى النهضة الحديثة .

(أنواع الشعر)

طريقة تقسيم الشعر عند العرب إلى فنونه المختلفة من وصف ومديح وهجاء..الخ

كان شعر العرب فى الجاهلية مرآة صادقة لمعيشتهم الساذجة التى يعيشونها بعيدة عن التعقيد والتكلف ، ولاشك أن حياة العرب فى العصر الجاهلى لم تكن معقدة تعقد الحياة عند الأمم الممعنة فى الحضارة، بل كانوه يعيشون عيشة بدوية خالصة ، و بعضهم كان له حظ من الحضارة ولكن لم تخلص معيشته من شائبة البداوة .

وكانت تلك الحياة قائمة على الحرية والاستقلال ، والشعور بالانفة والكبرياء والاعتزاز بالقبيلة، والتفاخر بمآثرها، والتفانى فى الولاء لها، وإراقة الدماء فى سبيلها .

وشأن تلك الحياة التى يحياها العرب فى بيئتهم الطبيعية والتى لاتخضع لقانون ولاسلطان — أن تقوم على العناية بوصف حياة الفرد، والتحدث عن أخلاقه وخصاله، وميوله وأهوائه، نعم قد يتعصب الشاعر لقبيلته فيكثر من ذكر مناقبها ، وإطراء شمائلها وأحسابها وأنسابها، ولكنه مع ذلك لاينسى شخصيته، ولا التحدث بمناقبه وخلاله، وتصوير نزعات نفسه تصويرا دقيقا . .

لذلك كان الشعر الجاهلى صورة صادقة لحياة العرب فى الجاهلية تمثل تلك الحياة المستقلة، والشعور بالأنفة والكبرياء، والتمدح ، بحميد الخصال ومحمود الخلال، فكانت أغراض الشعر خاضعة لتلك الحياة من مدح وفخر، ونسيب ورثاء، إلى غير ذلك من أنواع الشعر المختلفة التى أبلغها ابن أبي الأصبع العدوانى إلى ثمانية عشر فنا ، هى :

الغزل: والوصف، والفخر، والمدح، والهجاء، والعتاب، والاعتذار، والأدب، والزهد، والخمر، والرثاء ، والبشارة، والتهنئة، والوعيد، والتحذير، والملح، والسؤال، والجواب ، وزاد

عليها الحكم، والمجون ، والحماسة . . .

وهذه الأنواع كلها يجمعها نوع واحد من الشعر هو الشعر الغنائي الذى يتغنى فيه الفرد بمفاخره ومناقبه ، ويمثل فيه شعوره وعواطفه، وجميع أحواله النفسية، وحياته الفطرية ورضاه عن تلك الحياة، واطمئنانه إليها، وعدم تبلبل الفكر بالبحث والتطلع إلى خير منها .

قال قدامة بن جعفر فى نقد الشعر :

« وللشعراء فنون من الشعر كثيرة تجمعها فى الاصل أصناف أربعة: وهى المديح والهجاء، والحكمة، واللهو، ثم ينفرع من كل صنف من ذلك فنون فيكون من المديح: المراثى، والافتخار، والشكر، واللطف فى المسألة، وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه، ويكون من الهجاء: الذم، والعتب، والاستبطاء، والتأنيب، وما أشبه ذلك وجانسه، ويكون من الحكمة: الأمثال، والتزهيد، والمواعظ، وما شاكل ذلك وكان من نوعه، ويكون من اللهو: الغزل، والطرد ، وصفة الخمر ، والمجون ، وما أشبه ذلك وقاربه »

وقال ابن رشيق في العمدة :

« الشعر كله نوعان: مدح وهجاء، فالى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وماتعلق بذلك من محمود الوصف، كصفات الطول، والآثار، والتشبيهات الحسان، وكذلك تحسين الأخلاق : كالأمثال، والحكم، والمواعظ، والزهد فى الدنيا، والقناعة، والهجاء ضد ذلك كله، غير أن العتاب حال بين حالين فهو طرف لكل منهما » .

وقال أيضا : « بنى الشعر على أربعة أركان، وهى المدح، والهجاء، والنسيب، والرثاء » .

وقيل « قواعد الشعر أربع: الرغبة والرهبة والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع » .

وقال القاضى الجرجانى : الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية

والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ويقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان » .

ولما كانت الحروب بين القبائل فى الجاهلية تكاد تكون متواصلة كان أكثر فنون الشعر الجاهلى الهجاء، وكان حرب اللسان من طريق الشعراء صدى لصليل السيوف ووقع السهام ، فالشاعر من قبيلة يهجو القبائل الأخرى، ويطعن فى احسابها وأنسابها، ويختلق لها من الجرائم مالم تفعل ، ويقابل شعراؤها هذا الهجاء بمثله، وينقضون قوله، ويختلقون لقبيلته مثلما اختلق لقبائلهم من المساوىء أو أشد . . .

ويتبع الهجاء فى الكثرة، الفخر بالنفس أو بالقبيلة ، وما للشاعر، أو لها من شيم وأعمال . ويلى ذلك الغزل فقد شببوا بالنساء ووصفوا جمالهن، كما وصفوا فعل الهوى فى نفوسهم والشعراء فى ذلك ما بين متهتك فى شعره كامرىء القيس، وعفيف مثل عنترة وزهير . . . .

ولقد أجادوا أيما إجادة فى الوصف ، فقد مثلوا حياتهم البدوية أصدق تمثيل، فوصفوا الليل والناقة والذئاب والرماح ، وكل ما يتعلق بحياتهم البدوية على سطح الجزيرة، وأتوا فى أوصافهم بالتشبيهات الرائعة التى اشتقها الخيال من بيئتهم مطابقة للواقع أو قريبة منه ، مما لا يتيسر لكثير من شعراء الأمم الأخرى الإتيان بمثله .

ولقد جرى كثير من المستشرقين على اعتبار العرب ككل الأمم السامية ليس لها أساطير ولا قصص فى شعرها ولا فى عقائدها، واستدلوا من ذلك على ضيق الخيال لديهم، لأن مبعث الأساطير والقصص والخرافات الخيال الخصب ، والحيرة والشك اللذان يبعثان حب البحث والاطلاع فى النفس، فكلما كان الفكر قلقا مضطربا تطلع إلى الغرض الأسمى فأصبح فى حركة مستمرة للوصول إلى ما يريد كأنه يبحث عن حقيقة خفية وهو فى سبيل بحثه يكشف الغطاء عن حقائق متنوعة ومعان جديدة فيزداد علما بالحياة وأسرارها، ويظهر ذلك جليا فى أدبه من نثر ونظم كما هو الحال عند الأمم الآرية

كاليونان وغيرهم من الأمم الأوروبية ، و يعتبر هذا الرأى صوابا إلى حد ما كما سنوضح ذلك فيما بعد . . .

طريقة تقسيم الشعر عند الفرنجة الى قصص وغنائى وتمثيلى

قلنا إن الشعر العربى الجاهلى مرآة صادقة لحالة العرب فى الجاهلية ، وهو بأنواعه التى ذكرناها من مدح وهجاء . . الخ انما يعبر عن حياة الفرد من عواطف واحساس وشعور، وخيال إلى غير ذلك من صفات النفس واهوائها ومظاهرها، وهو ان تناول ذكر القبيلة أو شرح أحوالها وعدد مناقبها وخلالها لا يغفل عن ذكر شخصية الشاعر وشعوره ، بل يجعل تلك الشخصية منه بمثابة البطل الذى تعتمد الرواية التمثيلية عليه فى المواقف الهامة، ثم أطلقنا على جميع أنواع الشعر التى تنبعث من العاطفة والوجدان كما قدمنا لفظا واحدا هو الشعر الغنائى أو الوجدانى وهو الذى عرفه العرب .

أما الفرنجة فالشعر عندهم أنواع ثلاثة : قصص وغنائى وتمثيلى ، ولكل نوع منه طور خاص من أطوار الوجود ، وحالة عقلية خاصة ينبعث عنها .

فالقصص : أقدمها، وهو عبارة عن سرد الحوادث أو الوقائع فى الشعر على سبيل القصة، وأكثر ماتكون هذه الحوادث دينية وأبطالها الآلهة .

والمعروف أن أقدم الآداب عند سائر الأمم والشعوب الآداب الدينية المتعلقة بالآلهة وأعمالهم ، كما فى الياذة هوميروس عند اليونان ، ومهابهارتة الهند .

وليس بين كتب الأدب والتاريخ والشعر كتاب تداولته الأيدى وتناقلته الالسن واستشهد به الأدباء والمؤرخون ونقل مرارا متوالية إلى معظم لغات الحضارة نثرا وشعرا مثل الياذة هوميروس . حتى لقد جعل تدريسها فرضا فى كثير من المدارس الأوروبية فى زمن ما . وقد اعترض بعضهم على إنفاق الساعات الطويلة فى تدريسها لطلبة جامعة برلين ، فلما بلغ ذلك الاعتراض ولهلم الأول قيصر ألمانيا قال « دعوا الاساتذة يكثروا من تلقين شعر هوميروس ، فإن الأمة التى يرسخ فى ذهنها وصف صبا الأمم على

نحو مايبسطه هوميروس لايسارع إليها العجز والهرم » .

ومن أقوال رينان الفيلسوف الفرنسى الحديث: «إذا مر على عهدنا ألف عام انقرضت جميع التآليف التى بين أيدينا ولم يبق منها إلا كتاب واحد هو ديوان هوميروس» وإذا كان المتقدمون قد اطلقوا عليه لقب «الشاعر» فقد لقبه المتأخرون «بأمير الشعراء»

وقد نظمت الالياذة فى أول القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان أرسطوطاليس من المعجبين بهوميروس حتى ألصق نسبه بالآلهة ، وكذلك كان الاسكندر المقدونى من المغرمين بمطالعة الالياذة، حتى وقف يوما على قبر اخيل بطل الالياذة وقال « طوباك فقد أوتيت منتهى السعادة بقيام شاعر كهوميروس يخلد ذكرك » .

ويبلغ عدد أبيات الالياذة ١٦٠٠٠ بيت وموضوعها الحرب بين الاغريق وطرواده ، ويمكن اعتبارها أكبر مصدر لتاريخ اليونان القديم ومايتعلق بالاغريق من جميع الاحوال والشئون،وظل الناس يتناشدونها فى الأندية والمجالس زهاء قرنين كاملين، ثم دونت فى أوائل القرن السابع قبل الميلاد على مايظهر . .

ومع أن العرب قد ترجموا كثيرا من كتب اليونان العلمية والمنطقية والفلسفية وغيرها فليس لدينا من المعلومات ما يثبت أنهم ترجموا الالياذة مع علمهم بها، وانتشارها بين الخاصة فى بلاد الفرس والكلدان زمن الدولة العباسية، وجريان ذكر هوميروس على كثير من الألسنة .

ويظهر أن اعجاب العرب باشعارهم واعتقادهم أنهم قد وصلوا إلى ما لم يصل إليه غيرهم من الأمم والشعوب قد صرفهم عن التطلع إلى ترجمة الآداب اليونانية اكتفاء بآدابهم التى يعتقدون أن جميع آداب الأمم الاخرى دونها — على أنه لواستمرت النهضة العلمية الادبية التى كانت زمن المأمون قرنين كاملين لكان من المعقول أن يتطلع العرب إلى ترجمة الآداب اليونانية والأجنبية برمتها إلى لغتهم .

والشعر القصصى كما يقولون يسبق غيره من فنون الشعر الأخرى ؛ لأنه هو الذى يناسب طور طفولة الأمم والشعوب، فإن الشعراء فى هذا الطور قلما يستطيعون التعبير عن المشاعر والعواطف، فيلجئون إلى ماهو أيسر وأهون، فيسردون القصص والروايات ممتزجة بالخيال والإحساس ، فهم فى هـذا العهد أشبه بالشاعر المبتدىء ، يجنح إلى الميسور من الشعر القصصى، فإذا مرن عليه وحذقه انتقل إلى النوعين الآخرين ، وإذ عرفنا أن الشعوب فى بداوتها أحرص على التمسك بأهداب دينها منها فى عهد مدنيتها وحضارتها أمكن أن نعلل سبب تقدم الشعر القصصى على غيره من النوعين الآخرين .

وهنا يجب أن يعرف أن ما يظهر فى هذا النوع من الشعر من إحساس أو شعور ليس شعور الشاعر ولا إحساسه ، و إنما هو إحساس الأبطال الذين يتكلم عنهم وشعورهم ؛ لأن الشاعر القصصى إنما يبسط أحوال العالم ومظاهره المختلفة ، فهو يعبر عن شعور غيره ويشرح كل ما يتعلق بسواه .

ومن ذلك يؤخذ أن اليونان كانوا سذجا فى العقيدة كما كانوا سذجا في التفكير ، فجاء هذا الشعر مثالا لحياتهم الأولى، فهم يعتقدون بتعدد الآلهة، واتصافها بما يتصف به الناس عادة من محاسن ومثالب، وأنها تتدخل فى أعمال الناس المختلفة بالمساعدة والمعاونة والمصاهرة ، ويمكن أن تكون خصائص الشعر القصصى مجملة فيما يأتى :

(١) الرجوع بالحوادث التاريخية إلى الماضى السحيق الذى يتلاقى مع نشأة الأمم وتكوينها ، وهنا يسبح الخيال فى عالم الأوهام، ويسير فى بيداء الظنون، فتتقبله النفوس بالإذعان والتسليم .

(٢) يجب أن يكون القصص قائما على النزاع بين متنازعين ، كما كان بين الإغريق وأهل ترواده فى الألياذة ، أو بين مبدئين مختلفين ؛ كالخير والشر فى الفردوس الضائع لملتون الانجليزى .

(٣) لا بد فى الشعر القصصى من بطل للرواية يكون بمثابة قطب الرحى فيها فتصدر عنه جميع حوادثها ، و إليه يكون المرجع فى كل شئونها .

(٤) أهم ما يستلفت النظر فى الشعر القصصى أن تكون الحوادث غريبة عجيبة أو خارقة للعادة، ولليونان فى ذلك النوع من الأدب اليد الطولى ، فلهم أقاصيص عن أصلهم ونشأتهم، والأجانب الذين وفدوا على بلادهم، والأمور الخارقة للعادة التى جرت على أيدى أبطالهم ، وأخبار حروبهم ومدنهم ليس مثلها لأمة أخرى غيرهم.

و يجب أن يفهم أن تقدم الشعر القصصى على الغنائى ليس معناه أنه وجد قبله، فإن الصواب أن الشعر الغنائى أقدم من الملاحم، والملاحم أقدم من التمثيلى، لأن أقدم ما نطق به الانسان من الشعر كان أغنية يتطرب بها ، أو أنشودة تقذفها النفس إشعاراً بعاطفة من حب أو أمل أو بغضاء ، فهذه القطع الغنائية الصغيرة تقدمت المنظومات الطويلة مثل الألياذة ونحوها .

ولكن ارتقاء الشعر القصصى متقدم على ارتقاء الغنائى ، كما أن ارتقاء الشعر يتقدم على ارتقاء النثر و إن كان النثر متقدما بالوضع . . أما التمثيلى فهو من نتاج الملاحم فجاء متأخرا عن القصصى بالطبع ؛ لأنه كان أيسر على الشاعر أن يتكلم على لسان جميع ممثليه كما هى الحالة فى الملاحم من أن يجعل كلا منهم يتكلم بلسان نفسه فى موضع معين من القصة عند التمثيل .

الشعر الغنائى

استمر اليونان قرونا طويلة وليس لديهم إلا الشعر القصصى الذى تتمثل فيه أخبار آلهتهم وأبطالهم وعلاقتها بالبشر، فلما تم لهم فتح بلاد الفرس وشاهدوا ما فيها من المدنية الممثلة فى مبانيها وأبراجها العالية ،وعلومها ومعارفها وعقائدها، ارتقت عقولهم ونضج تفكيرهم،ونبذوا الملكية القديمة ، وأنشئوا على أنقاضها الحكومات الجمهورية الارستقراطية ، وهنا بدءوا يشعرون بأن لهم وجودا ذاتيا ، واستقلالا فكريا، وأن لهم

وجدانا يفيض بالسرور والحزن، واللذة والألم، والحب والبغض، وغير ذلك من مظاهر النفس الإنسانية، فبدءوا ينظمون الشعر النفسانى الذى يعبر عن انفعالات النفس المختلفة وعواطفها المتباينة، وسبب تسميته غنائيا أن اليونان كانوا يتغنون بإنشاده على نغمات إحدى الآلات الموسيقية كما سبق .

وكان معنى (شعر غنائى) أنه شعر يتغنى به، ثم تنوسى أصل هذه التسمية وأصبح معناه الشعر الوجدانى الذى ينبعث عن العواطف النفسية ، مصورا نزعات النفس فى مظاهرها المختلفة بصور رائعة من التشبيهات والخيالات والاستعارات .

وكلما ارتقت العواطف وتقدمت الموسيقى جد فى الشعر الغنائى فنون جديدة، واهتدى الشعراء إلى أوزان ملائمة لكل ما يستجد منها .

ومن القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا أصبح اليونان أهل تمدن وحضارة، ويسر ورخاء، واقتضت ظروف تغير أحوالهم عقب الحروب والفتوح الفارسية السابق ذكرها -- التمدح بانتصاراتهم، وبسالتهم وإطراء أعمالهم، والاشادة بحضارتهم، فكثرت الدواعى لى الشعر الوجدانى أو الموسيقى وفيه المدح والهجاء، والحماسة والفخر والرثاء، ووضعوا الأوزان الجديدة له، ولاشك أن الظفر يولد المدح، والموت يولد الرثاء، والحب يستدعى الغزل والتشبيب، فصار ملوك اليونان وكبراؤهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما كان يفعل العرب فى أول دولتهم، وشاع الشعر الغنائى فيهم، وكثر الشعراء الغنائيون عندهم، وأستاذهم بندار، وشاع هذا النوع من الشعر فاشتغلوا به عن القصص ورأوا أن إثارة العواطف والحث على الفضائل أولى من سرد الحقائق والحوادث جافة مجردة .

الشعر التمثيلى

انتقل الشعر من قصصى إلى غنائى، ومن غنائى إلى تمثيلى، لأن الشعراء رأوا أن الكلام وحده لا يكفى إلى اعتناق الفضيلة، والابتعاد عن الرذيلة، وتحريك المشاعر وإثارة العواطف، فعمدوا إلى تمثيلها للعيان فى حوادث يؤدى تمثيلها أمام النظارة المغزى الذى

يريدون فتثبت فى الأذهان وتستقر فى الفكر، وأطلقوا على هذا النوع من الشعر التمثيلى « دراما » .

ويراد بالشعر التمثيلى فى أصل الوضع تمثيل الوقائع التى تؤدى إلى الموعظة أو الحكمة سواء أمثلت على المسرح أم لا. وفى الشعر القصصى شىء من ذلك، لأن إلياذة هوميروس لا تخلو من مواقف تمثيلية.

ولكن الشعراء بدءوا نظمهم بالشعر القصصى الخيالى التصويرى؛ فقد هاج عواطفهم التخشع للآلهة وكانوا يغنونه لهم ويرقصون فى غنائهم على توقيع الألحان فأخذوا الوزن من حركات الرقص ثم تدرجوا إلى نظم الشعر الغنائى ثم عمدوا إلى تمثيل الفضائل على المسارح وهو الشعر التمثيلى.

وهذه الأقسام الثلاثة للشعر لاتفصل بينها فواصل حصينة على الدوام فقد تتداخل الأنواع بعضها فى بعض، فالإلياذة ملحمة من الشعر القصصى بالنظر لما فيها من حوادث خاصة بالآلهة وغيرهم ، ولكنها تشتمل على قطع موسيقية فى الرثاء والوداع من أروع ما قيل فى الشعر الوجدانى ، وفيها مواقف تمثيلية تملأ النفس روعة ورهبة .

ويقارب هوميروس فى الضرب على جميع الأوتار شكسبير ، فالمشهور عنه أنه من أنصار الشعر التمثيلى ، ولكنك إذا قرأت رواية «هملت» رأيت فيها ملاحم توقفك دهشة وإعجاباً ومثل ذلك يقال فى رواية « السيد » لكرنى الفرنسى « وفوست » لغوتة الألمانى وغير ذلك من نوابغ الايطاليين وغيرهم .

هل فى الشعر العربى قصص وتمثيل ؟

من الباحثين من يقول إن الشعر العربى كالشعر الأجنبى تتمثل فيه أنواع الشعر الثلاثة من قصصى وغنائى وتمثيلى . و يمثلون للأول بأشعار الحماسة التى قيلت فى الحروب : كحرب داحس والغبراء والحروب الاسلامية أيام الفتح . ويمثلون للثانى

بالغزل والرثاء والمديح . . . الخ وللثالث ببعض شعر امرىء القيس وشعر عمر بن أبى ربيعة .

ولكن الواقع أن الشعر العربى غنائى كله ليس فيه قصص ولا تمثيل بالمعنى المطلوب ، نعم فيه أقاصيص حربية وبعض الحكايات الروائية التمثيلية ، ولكن هذه الأقاصيص كلها على فرض التسليم بصحتها قصيرة النفس لا تنطبق على ما يراد من الحكايات الطويلة التى تتضمن الآلاف من الأبيات الشعرية والتى لها نظام خاص فى طريقة الأداء والتى تذكر الآلهة وعلاقتهم بالشعر .

والشعر التمثيلى له نظام خاص فى الحوار و يتبعه حركات معينة يأتيها الممثلون ، وهو بذلك بعيد عن الشعر العربى ، ولولا أن شوقى وضع رواياته « مصرع كليوباتره» «وعنترة » « وقمبيز » « ومجنون ليلى » لظل بعيداً عن الشعر العربى حتى الآن .

ومن يقرأ ماصيغ من الشعر فى حرب البسوس يجده شعراً قصصياً ، وكل قصيدة منه جزء من ملحمة ، ولكن تلك الأجزاء غير ملتئمة لفقدان الروابط فيما بينها فهى أشبه بالحجارة المنحوتة المحكمة الصنعة ولكنها ملقاة على الأرض غير مرصوصة بالبناء ؛ كما يجد أن كل ذوى الشأن فى القصة المذكورة شعراء : مثل كليب وزوجته جليلة وأخوه مهلهل ؛ وكذلك مرة وابنه جساس وغيرهما ، ومجموع شعر هؤلاء أشبه بالشعر التمثيلى ، لأن لكل حادثة شاعراً ينطق بها بخلاف شعر الملاحم كالالياذة، فان هوميروس هو الذى ينطق بلسان الجميع ؛ وقد لا يبعد أن تكون تلك القصة ملحمة كبيرة فى أصلها ثم ضاع كثير من أجزائها فأدى ذلك إلى تفرق مابقى منها .

ولكن جمهرة الباحثين يرجحون أن العرب فى الجاهلية لم ينظموا الملاحم الطويلة المحكمة الأواصر مع توقد قرائحهم وتوفر معدات البلاغة عندهم ، لأن ذلك النسق فى النظم لم يكن فى طبعهم ولم تهيئهم إليه بيئتهم التى كانوا يعيشون فيها

ومع أنهم كانوا يعبدون الأوثان والأصنام التى تعتبر ضربا من الأوهام والخرافات — كانت نفوسهم هادئة مطمئنة راضية قانعة مستسلمة لما تجرى به الأحكام العلوية من خير وشر وسعادة وشقاء .

وليس البحث والاستطلاع والجرى وراء الحقائق والتحليق فى سماء التخيلات والتأملات والعناية بما يتعلق بالآلهة والالهيات إلا أثراً من آثار اضطراب الأفكار ومظهرا من مظاهر الحيرة والارتياب اللذين يكسبان النفوس خصباً والأفكار نمواً والخيال امتداداً .

والعرب كما قدمنا كانوا راضين بل مغتبطين بحالتهم الساذجة التى كانوا عليها حتى فى العلوم والمعارف . ويتجلى ذلك فى كل شىء لهم من كلام وشعر وخيال . .

وعلى عكس ذلك ترى الأمم الآرية ذات أدب قصصى رائع يدل على سعة الفكر وعمق الخيال كالهنود والفرس واليونان وغيرهم من الأمم القديمة .

ولقد ذهب أحد المتعصبين من المستشرقين إلى أن الأمم السامية كلها شأنها شأن العرب فى أنها قصيرة الخيال جافة التصور تدرك الأشياء إدراكا أوليا كليا ولا تتعمق فى البحث ولا تعنى بالاستقصاء . .

واستطرد من ذلك إلى رميها بكثير من المثالب التى تدل على تعصبه : كادعائه عدم استعدادها للتقدم والارتقاء ووقوفها موقف القصور والجمود وخلوها من الآثار الفنية الأدبية التى تدل على تبريزها فى عالم الفنون والآداب كغيرها من الأمم الأخرى .

ولئن كان هذا الرأى مبالغاً فيه كثيراً إن من الحق أن نقرر أن الأمم السامية دون الأمم الآرية فكراً وخيالا :

ولنا أن نسأل عن سبب ذلك : هل يرجع إلى بداوتها التى صورت حياتها الفكرية صورة مطابقة لمعيشتها مماثلة لها فى سذاجتها وقصورها بعيدة عن حياة المدنية المعقدة التي تبلبل الافكار وتوسع الخيال وتولد الشك والاضطراب .

ربما كان هذا الرأى صواباً إلى حد ما . فان جاهلية العرب وإن شابهت جاهلية اليونان فان بينهما فروقاً واضحة ؛ فلقد كان لليونان حضارة وكان لها مدنية وكان لها أنظمة للحكم تدل على التقدم والارتقاء. هذا الى علومهم وآدابهم وفلسفتهم ..

وقد يكون الفرق بين الأمم السامية وغيرها منشؤه أثر البيئة فى كل منها .

فالبيئة العربية كانت بعيدة عن كل ما يثير المخاوف فى النفس ويولد الجزع والرهبة فى القلب كمناظر الجبال الشاهقة وأمواج البحار المصطخبة والكهوف والمغارات التى اتخذتها الحيوانات الضارية مستقراً ومأوى .

فان بيئة تشتمل على هذه المناظر الطبيعية خليقه بأن تملأ النفوس فزعا ورعبا فيدعوها ذلك إلى التفكير فيما تدفع به عاديات الوحوش وتنجو به من المعاطب فتسبح فى عالم الخيال وتتخذ من الآلهة الأبطال وسيرهم وأخبارهم دروعا تحول بينها وبين الاستسلام لعوامل الخوف والهلع . . .

وتجد في هذه السير لذة تحفز إلى كثرة ترديدها وصوغها فى قوالب روائيه تحببها إلى السامعين بما تشتمل عليه من الحكايات الغريبة والمفاجآت المدهشه والمهاره الفائقة فتستقر النفوس وتطمئن . .

وهذا هو شأن الأمم ذات الروايات والأقاصيص كالفرس واليونان، فإن طبيعة بلادهم كما وصفنا .

أما الأمم السامية فطبيعة بلادهم على عكس ماذكرنا، فهى سهول منبسطة ليس فيها ما يوجب الخوف أو يدعو إلى الفزع .

لذلك لم يتعمقوا فى خيالاتهم تعمق غيرهم من الأمم الاخرى .

وربما كان السبب الأول أجلى وأوضح من السبب الثانى لمن يقلب وجوه الرأى ويعنى بالحقيقة والبحث ؟

عبد الستار سلام

الفقير البائس

للأستاذ عبد العزيز محمد خليل

المدرس بمدرسة الحلمية الابتدائية للبنات

يمدُّ يديه إلى من يرى ليمنحه الفَضْلة الباقيه

فذا يزدريه وذا يتقيه (م) لأطماره الرّثّة الباليه

يروح ويغدو وأحشاؤه من الجوع منهوكة واهيه

وفى نفسه من هموم الحياة (م) وآلامها حسرة باديه

فلا ثوبَ يستر أعضاءه ولاقوت يَكْسبُه العافيه

ولا مالَ يصلح ما أفسدت عليه يدُ المحنة القاسيه

***

وأولاده حوله قابعون (م) كأنهمُ الجيفة الداميه

هيا كل عظم كستها الجلود (م) ولكنها من دم خاليه

فيشويهمُ الحر إنْ مسّهم وتؤذيهم الليلة الشاتيه

ومن شبّ منهم على جهله يعش للشقاء وللهاويه

ويصبح شرا على قومه بما اقترفت يده الجانيه

***

فيامن نعمتمُ بالثراء (م) وعشتمْ به العيشة الراضيه

أعينوا الفقير وأولاده ببر هباتكمُ الجاريه

ولاتدعوه لفعل الزمان (م) وريب حوادثه العاتيه

فليس بباق سوق المكرمات ودنياكمُ هذه فانيه

فقيد دار العلوم

المرحوم سليم افندى المسلمى

فى شهر مايو الماضى اختطفت المنيه الأديب النابه الأستاذ سليم المسلمى وهو فى ميدان عمله ، أتم ما يكون صحة ، وأنشط شبابا ، ولقد فقدت به الجماعة لساناً من ألسنتها الناطقة ، وكان لوفاته رنة أسى بين إخوانه وعارفيه ، وقد شيّع جثمانه من محل عمله فى شبين الكوم إلى بلدته (الغار) شرقية ، جمع حاشد من إخوانه حيث ودعوه آخر وداع ، ووقفوا على قبره وعيونهم تفيض من الدمع ، وقد رثاه صديقه وزميله الأستاذ إبراهيم سليمان على قبره بالقصيدة الآتية :

لك ذكرى يا سليمْ ريحها مسكٌ عميم
متَّ ، لا ، بل أنت حىٌّ م بيننا لست تريمْ
أنت فى العين وفى القلـــب حظِىٌّ ومُقيم
نمت فى القبر وما كنـــت على حال نؤومْ
كنت فى كل مُهم أنت فراج الهموم
كنتَ مِلءَ العين والسمـــع لخل ونديمْ
نحن ندعوك لنحظى منك بالصوت الرخيمْ
قم وبيّنْ حكمة الخـلاّ م قِ فى موت الحكيمْ
إملأ الأسماع سحرا حسناً غيرَ ذميمْ
إنما السِحرُ للفظ حسن السبك قويمْ
ياجميل الخلق والأخـــلاق فى أحسن خيمْ
رحت «للأخرى» مرورا دونه مَرُّ النسيمْ
لو شعرنا لفدينا بنفوس وجسومْ
دَعْكَ من دنيا خيالٍ ما بها حالٌ تدوم
واضطجع فى القبر جمّ الأجر موفور النعيم

قصة تمثيلية

أصحاب الفيل

مقتبسة من السـيرة النبوية

في ثلاثة فصول

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

(تابع ما نشر فى العدد الماضي)

الفصل الثانى

المنظر الأول

« جيش أبرهة زاحفاً على مكة ، جنود ينهبون جمال عبد المطلب . الرعاة يفرون أمامهم . جنود ينصبون الخيام »

جندى (لرفاقه) : —

انْظُرُوا الشَّاءَ وَالْإِبِلْ فِى رُبَا الْبِيدِ تَرْتَعُ

ثان : —

انْهَبُوا وَاقْطَعُوا السُّبُلْ لَيْسَ لِلْخَوْفِ مَوْضِعُ

أحد الرعاة (يعدو هامسا لزميله) : —

نَهَبُوا أَمْوَالَ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

زميله : —

مَا الَّذِى نَصْنَعُ لِلْجَيْشِ اللَّجِبْ

كُلُّ مَا نَعلِكُ: إيثارُ الهَرَبْ ثُمَّ تَرْكُ الرَّأْىِ فيهمْ لِلعَرَبْ

القائد (لأبرهة):

سيِّدَ الجيْشِ قدْ نَصبنا الحِبَالاَ وَنَهبْنا أمْوَالَهُمْ وَالجِمالاَ

فَمُرِ اليَوْمَ مَا تُرِيدُ؛ فَإنَّا مِثْلَمَا شِئْتَ، لاَنَهابُ النِّزَالاَ

أبرهة: —

أَحْضِروا لِى زَعِيمَهُمْ، سَوْفَ يَلْقَى حَتْفَهُ إنْ أَرَادَ بَغْيًا وَعَدْوَا

فَإذَا مَا أَرَادَ سِلْمًا فَحَسْبِى هَدْمُ بُنْيَانِهِمْ عَزَاءً وَسَلْوَى

(يرسل الوزير إلى عبد المطلب)

لوزير (إلى الرسول):

إذْهَبْ إلَى شَيْخِ بَنِى نِزَارِ وَقُلْ لَهُ: مَوْلاَىَ فِى انْتِظَارِ

(إلى أبرهة):

بَعَثْتُ رَسُولَنَا يَهْوِى إلَيْهِ سَرِيعًا مُسْتَجِيبًا لِلنِّدَاءِ

أبرهة: —

أَتَعرِفُ (يَا وَزِيرِى) عَنْهُ شَيْئًا تُحَدِّثُنِي بِهِ قَبْلَ اللِّقَاءِ؟

الوزير:

يَقولُ النَّاسُ (يَا مَوْلاَىَ) عَنْهُ: مَهِيبُ القَدْرِ مَعْقُودُ اللِّوَاءِ

تَرَى الأَعْرَابَ فِى نَادِيهِ، طَوْعًا لِدَاعِى الحَرْبِ أَوْ دَاعِي الإِخَاءِ

بَنُوهُ أَهِلَّةٌ: إنْ لاَحَ مِنْهُمْ هِلاَلٌ، لاَحَ وَهَّاجَ الضِّيَاءِ

تَقَدَّمَ أَهْلَهُ لِلمَجْدِ حَتَّى أَنَافَ بِهِمْ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ

وَأُلْهِمَ حَفْرَ «زَمْزَمَ» فَاسْتَقَادَتْ لَهُ دُنْيَا الرِّفَادَةِ وَالسِّقَاءِ

وَأصْبَحَ بَيْتُهُ العَالِى مَرَاحاً   وَمَغْدًى لِلْجِيَاعِ وَلِلظِّمَاء

جندى (خارج المعسكر يخاطب رفاقه) :

أُنْظرُوا الشَّيْخَ مُقْبِلاً   يَنْقُلُ الْخطْوَ فِى قَدَرْ

مِنْ حَوالَيْهِ وُلْدَهُ

زميله :

هَالَةٌ بَيْنَهَا قَمَرْ

الحاجب (لأبرهة) :

حَضَرَ الشَّيْخُ - سَيِّدِى -   وَهُـوَ بِالْبَابِ يَنْتَظِرْ

أبرهة :

مُرْهُ يَدْخُلْ لَعَلَّهُ   يُبْصِرُ الْبَأْسَ وَالْخطَرْ

(يدخل عبد المطلب) :

عبد المطلب :

تَحِيَّةَ الْعُرْبِ إِلَى النَّزِيلِ   تَحِيَّةَ الإِكْرَامِ وَالتَّبْجِيلِ

أبرهة (وقد أجلس عبد المطلب إلى جانبه لوقاره وهيبته) :—

سَيِّدَ الْعُرْبِ وَالْفَلاَ   إِسْأَلِ الآنَ حَاجَتَكْ

حَسْبُكَ الْيَوْمَ مَنْزِلاً   أَنْ نَرَى فِيكَ أُمَّتَكْ

عبد المطلب :—

أَخذَ الجيْشُ ثَرْوَتِى وَجِمَالِى   فَأَعِيدُوا مَاضَاعَ مِنْ أَمْوَالِى

أبرهة (فى تهكم) :—

كُنْتُ أُكْبِرْتُ هِمَّةً مِنْكَ ؛ لَكِنْ   خَيَّبَ الظَّنَّ فِيكَ ضَعْفُ الرَّجَاء

أَوَ تُغْضِى عَنِ الْبِنَاءِ عَظِيماً   وَتُرَجِّى مِنْ أَجْلِ بَهْمٍ وَشَاء ؟

عبد المطلب (فى عزة وغضب) : -

إنها كعبة الإله ، فمالى ولها ؟ وهو ربها ذو الجلال

حسبها ربها ، وحسبى أنى اطعم الوحش فى رءوس الجبال

وأرد الردى عن القوم : قومى وصحابى ، ومن أرادوا ظلالى

أبرهة (لجنده) : —

إمنحوه الجمال يا جند توا واستعدوا من بعدها للنضال

واذهبوا واهدموا البناء ، فإنى أشتهى أن أراه طى الزوال

عبد المطلب (فى تهكم) : —

إشتد اليوم ما تريد ، وأقدم بين أيديك جحفل جرار

لن ترى فى طريقك الآن منا ذائداً عنه ، أو غباراً يثار

أبرهة (مغيظا) :

أتظن البناء ممتنعا منى م وفى قبضتى حديد ونار ؟

عبد المطلب (فى هدوء) : —

دونك البيت ، فامض وازحف إليه وغداً تنجلى لك الأخبار

(يأخذ عبد المطلب جماله وينصرف ، يسود الصمت)

أبرهة (إلى قومه فى غضب) : —

تهددنى بالبيت لا جيش عنده ولا ذائد منهم يدافع أو يحمى ؟

لسوف أريهم : أينا اليوم غانم وأى مسوق للدمار وللغرم

المنظر الثانى

« عبد المطلب فى نفر من قومه متعلقين بأستار الكعبة . جيش أبرهة »
« مقبلا (من بعيد) فى طريقه إليها . أمامه الفيل ، يقوده سائسه »

عبد المطلب : —

لَاهُمَّ : إنَّ الْعَبْدَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ [1]
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ أبداً مِحَالَكْ
إنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقِبْـ ـلَتَنَا فَأَمْرٌ مَا ، بَدَا لَكْ

أعرابى : —

مَعَاذَ اللهِ أنْ يُرْمَى بِسُوءٍ بِنَاءٌ شَادَهُ فِينَا الْخَلِيلُ
بِنَاءٌ ضَمَّ إِسْمَعِيلَ طِفْلاً وَكَانَ لَهُ بِهِ ظِلٌّ ظَلِيلُ
تَفِيءُ الطَّيْرُ سَاغِبَةً إلَيْهِ وَيَأْمَنُ فِي جَوَانِبِهِ النَّزِيلُ
تَمُرُّ بِهِ اللَّيَالِى وَهْوَ بَاقٍ مَنِيعٌ لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ

(ينصرف عبد المطلب وقومه ، وتبدو الكعبة للجيش)

القائد (مخاطباً جنده) : —

هَذِهِ الْكَعْبَةُ ، فَامْضُوا نَحْوَهَا وَاطْمِسُوا آثَارَهَا فِى الْعَالَمِينْ
وَاثْأَرُوا (يَاقَوْمِ) مِمَّنْ أَحْرَقُوا طَوْدَنَا الْغَالِى وَوَلَّوْا هَارِبِينْ

جندى لزميله (مشيراً للكعبة فى تهكم) :

أَمِنْ أَجْلِ هَذَا الْبِنَاءِ الضَّئِيلِ م أُحْرِقَ مَا عِنْدَنَا مِنْ بِنَاءْ :

---

(١) هذه الأبيات لعبد المطلب .

بذلنا الألوفَ لبُنْيانه وجئنا ألوفاً نُلبّى النّداءْ ؟
لقدْ كُنتُ أحسبُ بُنْيانَهمْ رفيعاً ، يُطاولُ هامَ السّماء

زميله : —

هُمُ العُربُ (ياصاحِبِى) دِينُهمْ على الدّهرِ دِينُ الفِدا والوفاءْ
يَرَوْنَ منَ العارِ أنْ يُوصَمُوا بِهُونٍ ولاَ يَبْذُلونَ الدّماءْ
وسِيّانِ (ياصاحِ) فى شَرْعِهمْ إذا ما استُضِيمُوا وحُقّ الفِداء :
بناءٌ يُطاوِلُ هامَ السّماءِ ، وكُوخٌ عديمُ السّنى والرّواء

(يقف الفيل فجاة ، فيتوقف الجيش)

السائس (لنفسه) : —

مَا لِذَا الْفِيلِ قدْ غدَا جَامِدَ الْخَطْوِ لاَ يَسِيرْ ؟

(القائد) : —

جَمَحَ الفِيلُ وَلَمْ يَرْضَ الْمَسِيرَا

القائد : إضْرِبُوهُ

(يضربه السائس فيزداد عصيانا)

السائس : زَادَ بِالضّرْبِ نُفُورَا

القائد :

وَجّهُوهُ وِجْهةً أُخرَى ؛ عَسَى يَهْتَدِى

(يوجهه السائق إلى غير طريق الكعبة فيمضى مهرولا)

السائق (فى دهشة) :

مَا أَعْجَبَ الفِيلَ الْجَسُورَا

هَرْوَلَ الآن ، وَلبَّى مُسْرِعاً   وَمَضَى تحْسبهُ اللَّيْثَ الهَصُورَا

القائد . –

أَخْبرُا مَوْلاَكُمْ وَانْتَظِرُوا   بَعْضَ حِينٍ

جندى (لنفسه) :   عَلَّ فِى الْغَيْبِ امُورا

السائس (لجندى بعث الى أبرهة يخبره) :

إذْهبْ إلى مَوْلاكَ وَاذْكُر لهُ   مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ الْعَصِىِّ الجَمُوحْ

(يذهب الجندى)

المنظر الثالث

(أبرهة فى حاشيته . رسول بين يديه)

الرسول :

بَرَكَ الفيلُ وَنامَا   وَأَبى السَّيْرَ أَمَامَا

إنْ رَأى الكعبَة يمْضى   أَمْرَ مَنْ قَادَ الزِّمَامَا

فَإذَا اخْتَرْنَا طَرِيقاً   غَيْرَهَا ، لبَّى وَقَامَا

مَا الّذِى نَصْنَعُ (يامَوْلاىَ) حتَّى لاَ نُضَامَا

أبرهة :

إضْرِبُوهُ ، عَذِّبُوهُ   يُعْطِكُمْ مِنْهُ الخُضُوعَا

لاَ تُبالُوا ، أَلْهِبُوهُ   يُصْبِحِ العَبْدَ المُطِيعَا

الرسول:

لَمْ يَزِدْهُ الضَّرْبُ إلاَّ   ثَوْرَةً تَخْشَى مَدَاهَا

هاتف : ـ

سَئِمَ العَسْفَ وَمَلاَّ فَارْقُبُوا فِيهِ الإِلٰهَا
إِنَّ رَبَّ النَّاسِ (جَلاَّ وَتَسَامَى أَنْ يُضَاهَى)
أَلْهَمَ الفِيلَ فَوَلَّى طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا

أبرهة لرجاله (فى حيرة) : ـ

مَنْ إِلٰهُ النَّاسِ ؟ إِنِّى لَسْتُ أَدْرِى، خَبِّرُونِى
اُطْرُدُوا الْوَسْوَاسَ عَنِّى وَأَعِيدُوا لِى يَقِينِى
قَدْ عَصَى الفِيلُ، وَظَنِّى أَنَّكُمْ لَنْ تَنْصُرُونِى

(هاتف ثان) :

إِنَّ رَبَّ النَّاسِ رَبٌّ خَلَقَ الْأَكْوَانَ طُرًّا
خَلَقَ الْبَيْتَ وَيَحْبُو بَيْتَهُ عَطْفًا وَنَصْرَا

هاتف ثالث

إِنَّ ذَا الْفِيلَ تَنَاءَى عَنْ حِمَى الْبَيْتِ خُشُوعَا
لَوْ تَنَاءَيْتُمْ سَوَاءً كُنْتُمُ فُزْتُمْ جَمِيعَا

هاتف رابع :

سَوْفَ تَلْقَوْنَ عَذَابًا دُونَهُ نَارُ السَّعِيرِ
سَوْفَ تَجْنُونَ حِسَابًا لَيْسَ بِالسَّهْلِ الْيَسِيرِ

أبرهة (مخاطبا قومه فى ذهول) :

أَيُّهَا القَوْمُ : أَصِيخُوا؛ إِنَّنِى سَامِعٌ صَوْتًا وَلاَ أُلْفِى جُسُومَا

إبحثوا : هل بيننا مختبئ دسه العرب بنادينا عموما؟

الهواتف :

لا تبحث اليوم عنا وارقب أليم الجزاء
إن كان للأرض جند فنحن جند السماء

أبرهة (مخاطبا نفسه فى حسرة وألم) :

لئن صدق الهواتف إن حظى قرين النحس موصول الشقاء
إذا جند السماء مضت لحرب فمن يقوى على جند السماء؟

المنظر الرابع

(الفشل والاضطراب فى صفوف الجند . الغيم يتكاثف . أسراب من الطير مقبلة)

جندى (ثائراً) يخاطب رفاقه : -

لنا الويل من قوم أطاعوا مضلهم
فقادهم للشر والحتف والهلك !
إذا ما طوانا الموت فى غربة النوى
فمن ذا يواسينا لدى الموت أو يبكى؟

آخر (فزعا) ينظر الى السماء :

أنظروا الأفق فإنى مبصر طيراً توالى
أظلم الجو بعينى لا أرى الآن خيالا
ملأ السجيل أذنى زادنى الآن خبالا
لهف عقلي! طار منى أشعر الداء العضالا

(يسقط صريعا ، ويسقط على أثره كثير من الجنود)

القائد لنفسه (ذاهلا) :

سَقَطَ الْجَيْشُ كُلُّهُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدِ

لمولاه (مهرولا) :

سَيِّدَ الْجَيْشِ : قُمْ تَرَى الْجَيْشَ يَهْوِى

يَلْفِظُ الرُّوحَ لَمْ تُصِبْهُ الْحِرَابُ

حارس الملك (فى فزع) :

إنْ مَوْلَاىَ صَامِتٌ ، لَهْفَ نَفْسِى وَرِفَاقِى

زميله (فى اضطراب) : لَقَدْ دَهَاهُ الْمُصَابُ

القائد (فى ذهول) :

سَيِّدِى ! مَوْلَاىَ ! هَذِى مُهْجَتِى نَفْتَدِيكَ الْيَوْمَ

أبرهة (فى حشرجة) : هَلْ يُجْدِى الْفِدَاءُ ؟

احْمِلُونِى إِلَى بِلَادِى ، وَعُودُوا بِرُفَاتِى إِلَى ثَرَاهُ الْقَدِيمِ

فَعَذَابُ السَّمَاءِ هَـذَا جَزَاءٌ لَمْ يُصِبْ غَيْرَ آثِمٍ أَوْ ظَلُومِ

الهواتف :

أَتَيْتَ لِتَهْدِمَ الْبُنْيَانَ جَهْلاً وَطُغْيَاناً فَحَاقَ بِكَ الْقَضَاءُ

فَذُقْ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَمُتْ صَرِيعاً بِدَاءٍ مَا لَهُ أَبَداً دَوَاءُ

« ستـــار »

الطفل

من المهد إلى الرشد

تقوم جماعة دار العلوم بطبع هذا الكتاب ؛ ومؤلفه هو الأستاذ محمد خلف الله أحمد ، من خريجى دار العلوم ، والحائز لدرجة الشرف B . A ودرجة الأستاذية M . A من جامعة لندن ، والمدرس بكلية الآداب .

والمؤلف مشهور بين زملائه وعارفيه بالجد والنشاط ، والاطلاع الواسع ، والبحث المتئد . أخرج هذا الكتاب بعد أن ألم بطائفة من البحوث المختلفة النواحى فى علوم النفس والتربية ؛ وبذل فيه من الجهد ما يدل على طول باعه ، وغزارة مادته ودقته ، فى البحث .

وقد عنى فيه بالموازنة بين النتائج التى وصل إليها الباحثون فى ملاحظة أطفال المدارس فى أوربا ، وحال الأطفال فى البلاد المصرية ، وضم إلى كل ذلك خلاصة رسالته التى قدمها إلى جامعة لندن لنيل درجة الأستاذيه : ومن مباحث الكتاب :

لغة الطفل . منطقه وتفكيره (بحوث بياجيه وبرت) الذكاء (مدرسة سبيرمان) الطفل الموهوب - الترقى الاجتماعى والوجدانى عند الطفل : بحوث سوزان أزاكس وشارلوت بولر) . النظر الاخلاقى عند الطفل . مراحل النمو . مرحلة الدراسة الابتدائية وخصائصها . مرحلة البلوغ ومشاكلها . تربية الشخصية .

وهو كتاب جديد فى اللغة العربية لا يستغنى معلم أو مشتغل بالبحوث النفسية عن الإلمام به والانتفاع بما فيه ؛ من أجل ذلك كانت عناية جماعة دار العلوم بإخراجه

وقيمة الاشتراك فى هذا الكتاب قبل طبعه ١٢ قرشاً ، تدفع إلى أمين صندوق الجماعة بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى .

وثمن النسخة بعد الطبع ١٨ قرشاً : عدا أجرة البريد .

جهود النادى

فى السعى لانصاف خريجى دار العلوم

رغبة فى أن يقف إخواننا على ما يبذله النادى من جهود فى سبيل إنصافهم ، ننشر لهم ما يلى لبيان الخطوات التى خطوناها فى هذا السبيل :

لما انتهت الوزارة من توزيع درجات المخس الثانى من كادر المعلمين فى مايو الماضى ، لاحظنا أن نصيب خريجى دار العلوم من الدرجات الجديدة قليل ؛ فرفعنا احتجاجنا على ذلك إلى معالى وزير المعارف ، وتشرف وفد من مدرسى المدارس الثانوية بمقابلة معاليه ؛ فأصغى إلى شكاتهم ، وطلب إليهم أن يعدوا له مذكرة بشكواهم ومطالبهم ؛ ففعلنا ، وأعددنا مذكرة وافية مدعمة بالأرقام الناطقة والبراهين المبينة ؛ وكان من نتيجة ذلك أن استُدعى رئيس الجماعة الأستاذ نجيب حتاتة لمقابلة معالى الوزير ؛ فأبان لمعاليه مقدار ما نال خريجى دار العلوم من غبن، يتكرر كل عام ، وشرح له قضيتهم ومطالبهم العادلة ؛ فأصغى معاليه إلى بيان رئيس الجماعة باهتمام ، ثم طلب إليه أن يعد مذكرة يشرح فيها أوجه الغبن، وما يراه من وسائل الإنصاف ؛ فوضعت الجماعة عن كل ذلك مذكرة وافية ، حافلة بالشواهد والأمثلة والموازنات بين طوائف المعلمين .

وكان من نتيجة هذه المذكرة التى رفعتها الجماعة إلى معالى الوزير ، أن معاليه اقتنع بحق خريجى دار العلوم فى شكواهم ، وأخذ فى العمل على إنصافهم ؛ فكتب مذكرة مستفيضة بالحجج القوية والبراهين القاطعة إلى معالى وزير المالية يقترح فيها منح جميع المتخرجين فى دار العلوم قبل سنة ١٩٢٠ الدرجة الخامسة ، وعددهم ١٧٥ مدرسا .

سارت هذه المذكرة سيرها فى وزارة المالية ، وانتهت أشهر الصيف جميعا وما تزال فى طريقها ، والجماعة على صلة بها فى كل مراحلها ، فلما طال بها المدى

تألف وفد من الجماعة للسعى عند وزير المالية ، وتشرف بمقابلة معاليه فى يوم الاثنين ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨ فأحسن استقبالهم ، وأبدى العطف عليهم ، واقتناعه بحقهم ، وصرح للوفد بأنه قد اتفق مع معالى وزير المعارف على طريقة لتنفيذ التحسين المقترح ، وذلك بتوزيع الدرجات الـ ١٧٥ على سنين قليلة ، لأن المالية لا تستطيع اعتماد المبلغ المقترح للتحسين مرة واحدة . وطلب الوفد إلى معالى وزير المالية تفصيل ذلك ، فدعاهم إلى التماس هذا التفصيل عند معالى وزير المعارف ، ولكنه لم يوفق إلى مقابلته لارتباط معاليه بموعد سابق . وأناب عنه حضرة صاحب العزة العشماوى بك وكيل الوزارة فى مقابلة الوفد ، فلقى منه المدرسون كل عطف ، وطمأنهم على مطالبهم ، وقال لهم : إن معالى وزير المعارف مقتنع بحقكم ، ومعالى وزير المالية يعطف عليكم ، وأنه أظهر استعداده لمنحكم عدداً من الدرجات كل سنة ، تضاف إلى الدرجات التى تنالونها فى التوزيع العام ، فلا تمضى إلا سنوات قليلة حتى يرتفع الظلم عنكم . وتنالوا حقكم كاملا ، وعما قريب يعلن إليكم تفصيل ذلك . ثم عطف حضرة صاحب العزة الوكيل على مدرسة دار العلوم ومقدار عناية الوزارة بها والعمل على إصلاحها . . .

هذا مجمل الخطوات التى خطاها النادى فى سبيل خريجى دار العلوم ، والمرجو — إن شاء الله — أن تظل القضية فى طريقها حتى نبلغ ما نريد بفضل اتحاد الإخوان وتعاونهم ؛ وما يزال النادى والجماعة يتابعان جهادهما فى سبيل أبناء دار العلوم ، والله المسئول أن يوفق الجميع ؟

فهرست العدد الثانى من السنة الخامسة